لجنة التأليف والترجمة والنشر

# تاريخ فن التصوير



## رجال التصوير

الكتاب الثاني

الفن الفلمنكي

تأليف

[illegible]

اهداءات ٢٠٠٢

الدكتور/ احمد فاروق كامل

هيئة المواد النووية

لجنة التأليف والترجمة والنشر

# تاريخ فن التصوير

## رجال التصوير

### الكتاب الثاني
### الفن الفلمنكي

تأليف



بسم الله الرحمن الرحيم

# فاتحة الكتاب

---

للقصة سحرٌ قويٌّ فى النفوس ، فهى تجمع بين متعة العلم وجاذبية الرواية .

وقد حوت قصص كتابى هذا تاريخاً موجزاً لعظماء المصورين وعرضاً سريعاً لما خلّفوه من الصور الشهيرة

وبدهىٌّ أن من يرغب فى درس الصور وتقدير جمالها ، يرغب أيضاً فى أن يعرف بعض الشيء عن راسميها ، وعن حياتهم ، وبيئاتهم ، وحوادثهم ؛ إذ لا شك فى أن هذه المعرفة تدعو بطبيعة الحال إلى دقة تقدير أعمالهم ، وفهم أغراضهم منها .

إذن ، فى هذه القصص متعة وفيها تسلية ، وهى تزف إلى القارئ تاريخ الفن فى نهج جديد متسق ، وهأنذا أعرض هؤلاء العباقرة المصورين ، لا كأسماء خالدة فى سجل التاريخ فحسب ، بل كأبطال لروايات مثلت فى أوقات مختلفة ، فيها عظات وفيها حِكَم ، وفيها خير ما أخرجت ريشتهم من صور ، ومهمتى فى ذلك أن أقوم بتقديم هؤلاء المصورين العظام إلى القارئ ، لتقوم بينه وبينهم معرفة وصداقة تكفل له حرية التحدث إليهم فى صورهم ، ومناقشتهم فى آرائهم ، فى صراحة الصديق للصديق .

يوليه سنة ١٩٧١

# الفن الفلمنكي

## مقدمة

تسمى ممالك أوروبا الشمالية ، وهى هولندا وبلجيكا ، بالممالك المنخفضة نظراً لانخفاض أرضها عن سطح البحر ، كما يطلق عليها اسم بلاد الفلمنك .

وقد كان فن إيطاليا القديم ترجماناً للدين والآداب .

كما كان فن اسبانيا محصوراً داخل قصور الملوك والأمراء .

وكما كان فن فرنسا فناً أكاديميا خالصاً .

وكما كان فن انجلترا فن الطبقة الرفيعة الأرستقراطية .

أما فن الممالك المنخفضة فقد كان فن الطبقات الوسطى ، وقد بدأت نهضة الفن فى بلاد الفلمنك عقب انتشار التصوير المصغر (Miniafure) على العاج والرق والمرايا والخزف وما إليها ، أى بعد حوالى قرن من بدء عصر النهضة فى إيطاليا ، وكانت بلاد الفلمنك قد انشقت على الكنيسة الكاثوليكية ، وأصبح فن التصوير حراً لا تأثير للدين فيه . وقد كان الأهلون منصرفين إلى شئونهم ، مبتهجين بمحاسن الطبيعة وجميل مظاهرها مأخوذين ببريق الحياة فى المدن ، فنشأ فيهم ذوقهم الفنى الخاص الذى تجلى فى منتجاتهم .

وفى الوقت الذى كان الفنانون المعاصرون فى إيطاليا ، أمثال فرا أنجليكو فى فلورنس ، وجنتيل دا فابريانو فى روما والبندقية ،

وبيزانللو فى ڤيرونا ، يجاهدون لوضع أسس النهضة فى إيطاليا ، كانت مدرسة بلاد الفلمنك فى طريق التكوين ، لا تقف فى طريقها عقبات كالتى كانت تواجه مدارس إيطاليا لمحاولة التخلص من تقاليد الفن البيزنطى القديم . وكان فنانو الشمال يعتمدون على تجاربهم الشخصية وحسهم وخيالهم ، فإن جاء رسم بعضهم وتلوينه بدائيا ، فإن عذرهم فى ذلك أنهم أنشأوا فنا لم يتلقنوا أصوله عن أساتذة سالفين ، اللهم إلا ما كان أمامهم من بقايا الفن القوطى .

وكاد الفن الفلمنكى قبل نهاية القرن الرابع عشر أن يكون مغمورا إذ لم يعرف عنه إلا القليل ، ما عدا بعض الصور الصغيرة ، التى كانت توضح الكتب والقصص والحوادث ، وقد تحرى فيها رساموها الدقة التامة فى الرسم والتلوين كما جاء فى أعمال الفنانين الشقيقين « ڤان ايك » إمامى فن التصوير الفلمنكى .

ولم يبلغ فن أى بلد من التقدم فى حقبة قصـــيرة من الزمن مثل ما بلغه الفن الفلمنكى خلال المدة التى عاشها الشقيقان « ڤان ايك » المذكوران اللذان ارتفعا بالمستوى الفنى إلى حد كبير ؛ فقد كان الفن القوطى القديم قبل نشأتهما تمثله صور الملوك المعروفة فى أوراق اللعب ( الكتشينة ) ، فما زالا يجدان حتى ارتقيا بالتصـــوير إلى ما يضاهى أشكال الملوك الحقيقيين . ولا تزال كاتدرائية برانزويك تزدان بلوحات من الفن القوطى القديم ، تمثل الاحتفال بعيد ميلاد هيرود ، رسمت فى مبدأ القرن الثالث عشر ظهر فيها هيرود كأنه عجوز ( الكتشينة ) وكذلك ظهرت سائر الصور الأخرى .

وفى عام ١٣٦١ ارتقى چين لى بون عرش فرنسا فورث دوقية برجاندى وولى عليها رابع أولاده فيليب هاردى الذى تزوج من مرجريت أميرة

بلاد الفلاندرز فاتحدت بذلك كل من الولايتين برجاندى وفلاندرز ، واستمر هذا الاتحاد سنين طويلة ونشأت عنه علاقات وطيدة بينهما وبين فرنسا وإيطاليا . فرحل كثير من الفنانين الفلمنك إلى ديچون حيث أسسوا مدرسة برجاندى . وكان شارل الخامس ملك فرنسا مغرما بالعلوم والفنون فجمع حوله كثيراً من الفنانين المشهورين من جميع البلدان فتحولت باريس فى أواخر القرن الرابع عشر إلى وسط فنى كبير ازدهر فيه فنّ التصوير التوضيحى المصغّر .

وقد نسب ابتكار الألوان الزيتية إلى الشقيقين ڤان ايك مع أنها كانت معروفة منذ القرن الثانى عشر ، ولكن مما لا شك فيه أنهما توصلا إلى معرفة بعض مواد ساعدت على سرعة جفاف الألوان وسهولة استعمالها واستدامة بهائهـا وحسن مظهرها . وعلى الرغم من ذلك لم يعرف الناس فضلهما وفضـل أمثالهما من فنانى الفلمنك النابهين إلا فى القرن التاسع عشر .

ومن مآثرهما الخالدة مجموعة صور بدآ فى تصويرها فوق مذبح كنيسة غنت فى عام ١٤١٥ وأتماها فى عام ١٤٣٢ وقد بلغت مساحتها حوالى ألف قدم مربعة . وقد جاءت خير مثال لفن المدرسة الفلمنكية وما كان يتصف به من القوة كما هو واضح فى صورة « عبادة الحمل » شكل ( ١ ) . وبالرغم من أن هذه المجموعة رسمت فى وقت كان التصوير الزيتى فيه ناشئاً ، إلا أنها حازت شهرة واسـعة واتخذها الفنانون المعاصرون ومن تلاهم مدرسة ينسجون على منوالها . وقد وزعت هذه المجموعة فيما بعد على كل من غنت وباريس وبرلين ولا تزال فيها حتى الآن .

وقد انصرف فنانو بلاد الفلمنك بعد ذلك عن التصوير على الحيطان

واستبدلوا به التصوير على زجاج النوافذ ؛ لأن جوّ تلك البلاد لم يكن في صفاء جوّ إيطاليا الصحو المنير ؛ إذ هو في أغلب الأوقات ملبد بالغيوم يناسبه التصوير على زجاج النوافذ حيث يبدو جماله واضحاً جليا ؛ لأن الضوء مهما كان ضعيفا ، فإنه ينفذ خلاله فيبدي ما فيه من رسم ومن ألوان .

وقد أهمل التاريخ سيرة هذين الشقيقين دهراً طويلا إذ لم يسعدهما الحظ بمؤرخ بارع مثل چورچ ڤساري ، وهو أحد مصوري القرن السادس عشر ، الذي كتب مجلدات ضخمة عن تاريخ مصوري ذلك القرن . ويرجع الفضل فيما وصل إلينا من أخبارهما القليلة إلى بعض محبي الفنون الذين والوا البحث والتنقيب طويلا .

---



شكل ( ١ ) عبادة الحمل ـ فى كاتدرائية مدينة غنت ـ تصوير الشقيقين هوبرت وچان ڤان إيك

# هوبرت ڤان إيك

## ١٣٦٦ – ١٤٢٦

## HUBERT VAN EYCK

ولد هوبرت عام ١٣٦٦ فى مدينة مايسايك على الحدود الفاصلة بين بلاد فلمنك وألمانيا ، وقيل إن والده كان ميكانيكيا لم يعرف اسمه فشبّ هوبرت وإخوته وقد نسبت أسماؤهم إلى مسقط رأسهم حسب العادة التى كانت متبعة فى ذلك الزمن بدلا من نسبتهم إلى والديهم ، فصار اسمه هوبرت مايسايك ، أو هوبرت ڤان إيك ، وكان أكبر إخوته . وكان دير بندكتن على مقربة من تلك المدينة . وقيل إن هوبرت وإخوته تلقوا العلم فيه فحببتهم الراهبات بالعطف وبثثن فى نفوسهم حب الفنون والآداب . وكان الشعب يرزح تحت أثقال العمل المضنى والعذاب الأليم ؛ إذ كان الألمان يوالون غزو بلادهم بلا رحمة ولا شفقة يسومونهم سوء العذاب ، ففتكت بهم الفاقة ، وأنهكتهم الأمراض ، وتحولت الأديرة بذلك إلى مستشفيات ، وكذلك الملاجئ والمدارس .

وجد هوبرت وإخوته صدراً رحباً فى الدير وشاهدوا كنوزه الثمينة وما كان فيه من الكتب القيمة الموضحة بالصور والنوافذ ذات الزجاج الملوّن ، فبهرهم جمالها وملك عليهم مشاعرهم ، فراح بهم الخيال فى نواح عدة ، ولمعت أعينهم ببريق الأمل فتمنى كل منهم أن يصبح مصوراً على الزجاج وموضحاً للكتب وفناناً بالجملة . وربما كانوا قد تلقوا طريقة طحن الألوان ومزجها عن والدهم ، فمهّد لهم ذلك طريق دراسة الفنون . وروى عن هوبرت أنه تلقى الفن فى كولونى أو مايسترخت . ولما عاد

إلى وطنه ، تولى تعليم أخيه الصغير چان الذى كان يصغره بتسعة عشر عاماً . وكانت البلدة فى حالة يرثى لها من أثر الحروب والغزوات والطاعون والتعذيب فلم يطب لهوبرت المقام فيها ، فرحل بإخوته إلى إيطاليا ، ينشد الهدوء والطمأنينة حيث درس أعمال چيوتو وتشيمابوى ، وهنا فقدت حلقة من سلسلة تاريخهم جميعاً .

وصار هوبرت مصوراً ببلاط فيليب شارلوا أمير ولاية برجاندى ، وربما كان السبب فى التحاقه به شهرته باستعمال الألوان الزيتية وما أجراه بشأنها من التجارب إلى أن وصل بها إلى درجة الكمال حتى ظن القوم أنها من اختراعه وإخوته . ومما يؤسف له أن كثيراً من أعماله فى أثناء التحاقه ببـــلاط فيليب قد ضاع . وكان أهم ما تبقى منها صورة على مذبح كنيسة سانت باڤون فى غنت هى عدة لوحات فاخرة رسم فيها كثيراً من الأشخاص ، ولكنه تحاشى تصوير أى أثر لما أريق من الدماء فى حروب ذلك الزمن على أراضى فرنسا وبلاد الفلمنك ، مكتفياً بتصوير الملوك والجند والقسس والقديسات والملائكة يعبدون الحمل كما سبق فى شكل ( ١ ) وهم يرتلون أناشيد الحمد والمديح يحيط بهم واد هادئ آمن بتلاله وغاباته ، وقد ظهرت على بعد أبراج المدينة المقدسة . وتبلغ مساحة هذه الصورة ٧¼ × ٤½ أقدام . وتوجد فوق هذه الصورة ثلاث لوحات شكل ( ٢ ) ، اليسرى منها صورة « العذراء » والوسطى « الرب » واليمنى « القديس يوحنا » . كما توجد على يسارها لوحتان الأولى « القضاة العادلون » والثانية « جنود المسيح » . وعلى يمينها لوحتان أخريان الأولى منهما « النساك المقدسون » والثانية « الحجاج المقدسون » . وهناك صور أخرى فى المكان نفسه تمثل « ملائكة تغنى » و « ملائكة تعزف الموسيقى » وفى أقصى المكان صورة « آدم و حواء »

شكل ( ٣ ) و « القديس يوحنا المعمدان » والقديس يوحنا الإنجيلي و « چودوك ڤيدت » المتبرع ببناء المذبح وصورة زوجته . وبذلك كان مجموع تلك الصور ست عشرة ، أما مساحاتها فتزيد على ألف قدم مربع . وكان الألمان قد استولوا على ست من هذه اللوحات عرضوها فى متحف برلين ، ولكن معاهدة فرساى أعادت تلك الصور إلى مقرها الأصلى فى كاتدرائية غنت كما أعيدت صورتا « آدم وحواء » اللتان كانتا فى بروكسل .

والمعروف أن هوبرت وضع تصميم جميع تلك الصور وبدأ فى رسمها ، فأتم اللوحات الثلاث الوسطى ولوحة « الملائكة تعزف الموسيقى » ثم وافته المنية عام ١٤٢٦ فأتمها أخوه چان الذى لم يكن حريصاً على اتباع تصميمات أخيه وتقاليده بدقة ؛ فبينما كان فن هوبرت فلسفياً عميقاً متجهاً نحو تصوير المعابد والأديرة ، كان فن چان دنيوياً يصور الحياة المنزلية والأشخاص .

ثم رحل چان ڤان إيك ليلتحق بخدمة أسقف ليبج وهو فى عنفوان شبابه وقد تفتحت أمامه سبل الشهرة . أما هوبرت فقد ترك وحيداً فى مرسمه وكانت سنه تربى على الخمسين ، وقد بدأ الهرم يدب فى جسده ولكنه ظل مجداً فى فنه . ثم عاد چان بعد غيبة دامت شهوراً وانضم إلى فيليب دوق برجاندى لمدة تقرب من عامين . وفى يوم ١٨ من سبتمبر سنة ١٤٢٦ قضى هوبرت نحبه ودفن فى معبد سانت باڤون حيث كانت آخر لوحاته التى لم تتم .

وقد حفظت صوره الخالدة فى متحف السير هوبرت كوك وفى متحف كوپنهاجن .

# چان ڤان إيك

١٣٨٥ – ١٤٤٠

JAN VAN EYCK

---

سبق الكلام عن مستهل حياته وشبابه وكيف أشرف أخوه هوبرت على تربيته فأحسن تنشئته إلى أن شب فناناً ماهراً . وكان أول استقلاله بالعمل عند ما التحق ببلاط فيليب دى شاروليه . ولما بدأ ذلك البلاط فى التفكك ، اضطر چان إلى البحث عن عمل جديد . وكان من عادة كل فنان فى ذلك العصر أن يلم بمهن أخرى غير التصوير مع احتفاظه بعمل رئيسى يؤديه ليكسب منه عيشه . وكان چان ماهراً فى كثير من الصناعات سريعاً فيها صبوراً على مزاولتها . وكان ملماً باللغة اللاتينية . كما أن اختلاطه ببلاط فيليب أكسبه دراية بشئون عديدة منها السياسة . وهكذا ذاع صيته أكثر من أخيه هوبرت .

وقد سبق القول بأنه عاد إلى أخيه فى غنت ، وكان فيليب قد تقلد دوقية برجاندى فأعاده إلى خدمته لبضع سنين قام فيها سفيراً إلى الممالك الأجنبية فى مهام كثيرة علاوة على عمله فى التصوير . وكان مرتبه مائة جنيه فى العام غير ما كان يتكسبه نظير القيام بخدمات أخرى سرية . وكان مقره مدينة ليل . وكان يصور فى معبد قلعة اللوق . وفى عام ١٤٢٨ انضم إلى الوفد الذى أرسله فيليب إلى لشبونة للسعى لدى چون الأول ملك البرتغال لزوج ابنته إيزابلا من فيليب دوق برجاندى .

،كلف چان بتصوير العروس . فلما أتم رسمها وعرضها على فيليب أعجب به إعجاباً شديداً زاده إلحاحاً فى طلب الإسراع بعقد الزواج . وزفت إيزابلا إليه فى العام التالى فى موكب فخم سار إلى مدينة بروج . وفى عام ١٤٣٣ تزوج چان ولا تزال صورة زوجته معروضة بمتحف مدينة بروج ؛ ولم تكن زوجته ذات جمال باهر ولكنها كانت تقيـــة صالحة حكيمة مديرة .

، واستمر يشتغل بالتصوير فى اهتمام وإخلاص حتى أتم الصور التى لم يتمكن أخوه هوبرت من إنجازها قبل موته فى مذبح غنت . ثم قام بإخراج مناظر وعتها ذاكرته فى أثناء قيامه برحلاته إلى البلاد الأجنبية . كما قام بتصوير عدة رسوم دينية أخرى على المذابح أدخل فيها صور أشخاص من البارزين ، ولم يكن چان يتملق زبائنه بل كان يصورهم بصدق وأمانة كما جاء فى صورة « ذو القرنفلة » شكل ( ٤ ) بمتحف برلين ، وهى آية من آيات الدقة والحيوية ، اهتم چان فيها بتصوير كل التفاصيل الدقيقة ليتمكن من إتقان الشبه ، ولو أن شخصية ذى القرنفلة ليست معروفة . وربما كان الحرفان ٢ ، ٣ المتكرران على « ياقة » الرداء رمزاً لاسم ذلك الشخص المرسوم . وقد أجاد چان تصـــوير « الياقة » وفراءها ، والقبعـــة واليدين ، وتفاصيل الوجه وتجاعيده وخصائصه . وربما كان الجرس ذو الصليب المعلق بالصدر بسلسلة ملفوفة ، رمزاً لاعتناقه مذهب القديس أنتونى . ولچان كثير من هذه الصور التفصيلية الحية مثل « تيموثيوس » و « ذو العمامة الحمراء » وغيرهما .

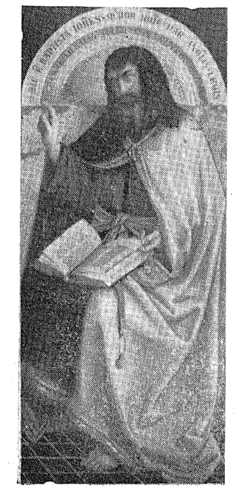
وكان چان واقعياً فى فنه ينفذ بنظراته الثاقبة إلى الحقائق والتفاصيل

فيسجلها مبتعداً عن التعبير عن العقائد والتعاليم الدينية ، وهذا ملحوظ في كثير من صوره المشهورة مثل « عبادة الحمل » و « البشرى » التي يتضح فيها مقدار اعتنائه وإعجابه بتصوير الطبيعة الصامتة "Still Life" مع رغبته في إتقان التفاصيل في صورة « أرنولفيني وزوجته » شكل (٥) بالمتحف الأهلي بلندن . وكان من دقته أن رسم الانعكاسات الواقعة في المرآة الصغيرة المستديرة ، فبدت كأنها صورة إضافية مصغرة . ويقال إنه لم يصور فيها إلا نفسه وزوجته وكلبهما داخل منزله . ولم يضع جان على هذه الصورة إمضاءه بالطريقة العادية بل بطريقة غريبة غير مألوفة هي « كان جان ڤان إيك هنا سنة ١٤٣٤ » .

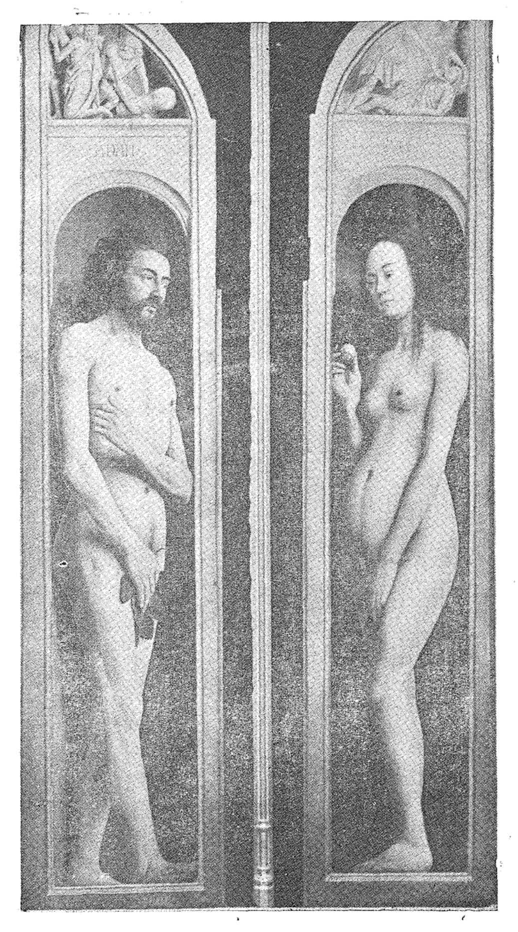
ورزق طفلة سنة ١٤٣٤ سماها ليڤنيا أنعم عليها دوق برجاندى بست كئوس فضية ثمينة . ثم رحل في العام التالي في مهمة سرية منح من أجلها مكافأة مالية عظيمة .

وروى عن شدة إعجابه بإحدى صوره ، وكانت قد استغرقت كثيراً من وقته حتى أخرجها على أحسن وجه ، أنه أراد أن يطليها بدهان لامع براق ، وأن يعرضها بعد ذلك للشمس لكي تجف . ولما كانت الحرارة شديدة فقد تشقق الخشب وتلفت الصورة فحزن حزناً شديداً وصمم على ابتكار نوع آخر من الطلاء يحفظ له عمله ، فأجرى تجارب عدة ، إلى أن فطن إلى أن الزيت الحار وزيت الجوز إذا مزجا معاً بالألوان ؛ جفا بسرعة وأديا إلى اللمعان المطلوب الذى لا يتأثر بالحرارة أو الرطوبة ، وأنه يمكن بهذا الزيت الممزوج تدريج الألوان بسهولة . وقد كان من جراء ذلك ، أن امتازت الألوان الزيتية عن ألوان التمبرا





شكل ( ٢ ) – العذراء مريم والإله والقديس يوحنا – فى كاتدرائية غنت – للشقيقين هوبرت وچان ڤان إيك



شكل ( ٣ ) آدم وحواء — للشقيقين هوبرت وچان ڤان إيك



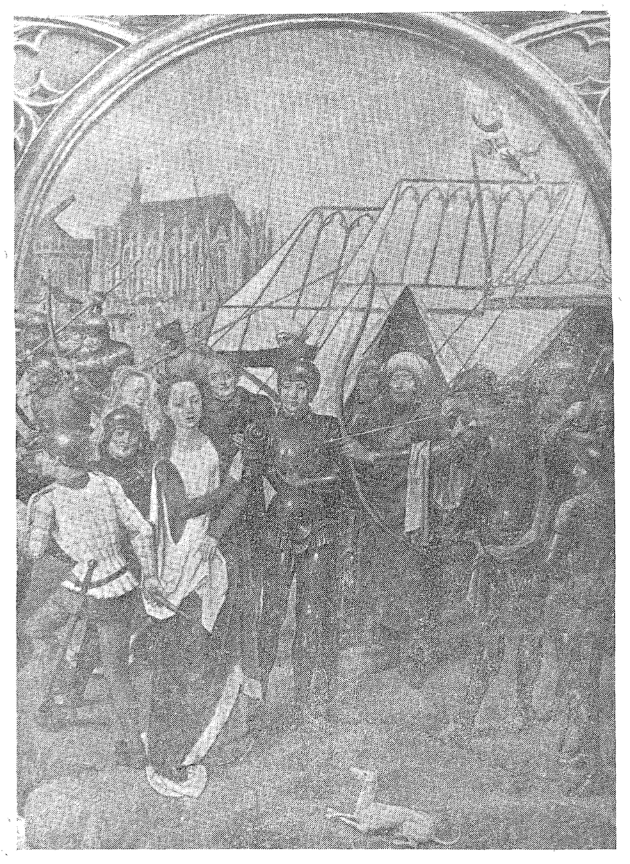
شكل ( ٤ ) ــ ذو القرنفلة ــ فى متحف برلين ــ تصوير چان ڤان إيك



شكل ( ٥ ) ﭼان أرنلفيني وزوجته ــ في المتحف الأهلي بلندن ــ تصوير ﭼان ڤان إيك



شكل (٦) ـ القديس لوك يصور العذراء ــ فى متحف بيناكوثك بمدينة ميونخ ـ تصوير ڤان در ويدن



شكل ( ٧ ) استشهاد القديسة أرسولا ـــ فى مستشفى القديس چون بمدينة بروج ببلچيكا ـــ تصوير ملنك



شكل ( ٨ ) الدوق كليفز ــ فى المتحف الأهلى بلندن ــ تصوير مملنك



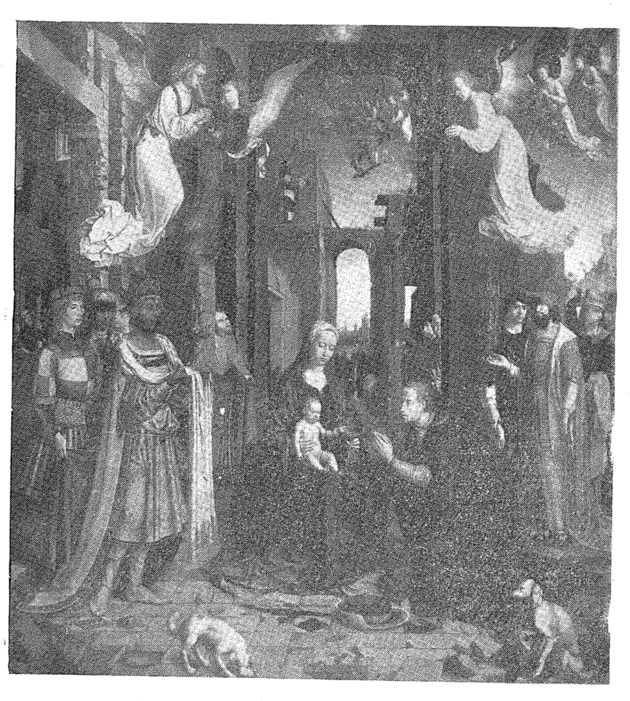
شكل ( ٩ ) القديسة مريم المجدلية – من مجموعة خاصة – تصوير مملئاك



شكل (١٠) الإعجاب بالمسيح — في متحف يوفتشي بمدينة فلورنس — تصوير فان در جوز



شكل ( ١١ ) ـ رجل المال وزوجته ـ فى متحف اللوفر بباريس ـ تصوير كوينتن ماسس



شكل (١٢) عبادة الملوك ـ في المتحف الأهلي بلندن ـ تصوير مابوز



شكل ( ١٣ ) - مارجريت تيودور الأخت الصغرى لهنرى الثامن - فى المتحف الأهلى بادنبره - تصوير مابوز



شكل ( ١٤ ) — روبنز وزوجته الأولى - فى متحف پيناكوتك بمدينة ميونخ — تصوير روبنز



شكل ( ١٥ ) ـ إنزال المسيح عن الصليب ـــ فى كاتدرائية أنفرس ببلجيكا ـ تصوير روبنز



شكل ( ١٦ ) السيد المسيح فى منزل مارثا ومريم — فى المتحف الأهلى بايرلندا — تصوير روبنز



شكل ( ١٧ ) هنرى الرابع صورة ماريا دى مديتشى فى متحف اللوفر بباريس – تصوير روبنز

وبدأ عهد التلوين الزيتى ؛ ولما سافر چان إلى إيطاليا ، أخذ بلليني وولداه التلوين الزيتى عنه .

وكان شتاء ١٤٣٧ — ١٤٣٨ قاسياً كثير الثورات فاعتكف چان يعمل فى مذبح كنيسة سنت دوناتيان ، وفى العاشر من يوليو سنة ١٤٤٠ ، دقت أجراس البلدة معلنة وفاة فنانها چان ڤان إيك فتجمهر الناس أمام منزله بشارع اليد الذهبيـــة وسارت الجنازة إلى كنيسة سنت دوناتيان حيث وورى التراب بجوار أخيــه لامبرت . وقد حزنت عليه ابنته وترهبت فى دير مايسايك . وها هى ذى صوره تخلد ذكراه فى غنت وفى المتحف الأهلى بلندن وفى بروج وأنفرس .

---

# روچر ڤان در ويدن

١٤٠٠ — ١٤٦٤

**VAN DER WEYDEN**

---

ولد فى مدينة تورناى ولكنه أقام فى بروكسل . وقد نشأ فى بيئة دينية فشبّ متديناً له مكانة كبيرة بين عشيرته . وتتلمذ على كامبن فنان عصره فأخذ عنه قدرته على صوغ الألوان وتناسقها فكان هذا سر نجاحه فى فنّه ؛ وكان أبوه مثّالا قديراً رغب فى أن يلقّنه فنه ولكن الابن أبى على الرغم من تأثره بفن أبيه وظهور ذلك جلياً فى بعض لوحاته .

ويمتاز فن ڤان در ويدن بالبساطة المطلقة مع قوة التعبير ، تأمل لوحته المسماة « القديس لوك يرسم صورة العذراء » شكل ( ٦ ) ، وقد ظهر فيها القديس لوك مسترسلا فى التصوير لا يكاد يشعر بشىء مما حوله فى حين تجلس العذراء الوسيمة الطلعة متجلدة صابرة كما يبدو على قسمات وجه كل منهما . والصورة حية فى جملتها ، رغم التصنع البادى فى إعداد المرسم ، وقد يؤخذ على الفنان اهتمامه برسم تفاصيل المنظر الطبيعى الظاهر خلال النافذة . ولكن إجادته لرسم ثياب كل من العذراء والقديس خففت من تأثير تلك العيوب الثانوية .

ولم يقتصر تأثير فن ڤان در ويدن فى فن بلاده فحسب ، بل تعداه إلى فنون كل من كولونيا وميتز بألمانيا ؛ ثم فن إسبانيا ، وسنرى

عند دراسة الفن الإسبانى كيف كانت تروق طريقته للإسبان . ولما زار روما سنة ١٤٥٠ كان لفنه تأثير غير قليل فى فنون مصورى مدينتى فرّارا وبادوا ، وقد اكتسب هو بدوره فى ذلك الوقت روحاً جديدة رقّقت عواطفه وهذّبت فنه كما تجلى فى لوحته المسماة « النحيب على المسيح » بمتحف برلين التى امتزج فيها فن مدرسة فان إيك بالأسلوب الذى اكتسبه حديثاً إبّان زيارته لروما .

---

# هانز ملنك

١٤٣٠ — ١٤٩٤

HANZ MEMLINC

---

كان مقام هانز مملنك فى الفن الفلمنكى كمقام رافاييللو فى الفن الإيطالى ، فقد جمع فيه كل محاسن عصره وتنزّه عن كل مساوئه . وقد وصف المستر كينز سميث مدير متحف برمنجهام فن مملنك بأنه يمتاز بجاذبيته وقوته وصراحته ودقته فى تمثيل قسمات الوجه وتدريج الظل . وهو يجمع بين إخلاص فن جان ڤان إيك ، ومتانة فن ڤان در ويدن ، كما أنه يذكرنا بشدة تديّن فرّا أنجليكو . وكان مملنك يحب إظهار التفاصيل ، وبخاصة ما كان منها داخل الحجرات مثل ڤان إيك .

كان مملنك أكبر سناً من معاصره المصور « كوينتن ماتسيس » كما أنه كان قد تتلمذ على الفنان ڤان در ويدن قبل أن يولد ماتسيس ، وهذا هو السبب فى تأثرفنه بفن أولئك المصورين العظام الذين أسسوا مدارس الممالك المنخفضة . ويقال إن مملنك درس فى كولون قبل أن يفد إلى مدينة بروج سنة ١٤٦٧ حيث حازت صوره فى مستشفى القديس جون شهرة عالمية وكانت موضع إعجاب الجميع .

وأول ما ذكر عنه فى شبابه أنه كان قوى البنية عملاقاً جعد الشعر أسوده ، وقد نشأ جندياً من جنود الدوق شارل الباسل ، وقاتل فى موقعة نانسى ضد السويسريين والألمان ثم سقط مثخناً بجراحه فلم يع بعد ذلك ما حدث له ، إلا بعد أن خلا الميدان وتنبه لنفسه وهو ضعيف لا يستطيع حراكاً ، فتمالك قواه وزحف حتى سقط فى حفرة يلهث ويرتعش من البرد

فى انتظار الموت . ولكن الحياة – وهى عزيزة غالية – أكسبته قوة جديدة ، وصل بها إلى مستشفى القديس چون فى بروج ، وهناك اعتنى به وضمدت جراحه وقام القسس بخدمته والراهبات بتمريضه حتى زالت عنه الحمى والتأمت جراحه ، فأراد أن يقدم شكره بطريقة عملية ، فشرع فى تصوير بضع صور يقدمها لهم من خير رسومه ، كانت هى السبب فى شهرته العالمية . ولذلك اقترن اسمـه باسم مستشفى القديس چون فى بروج مثلما اقترن اسم ميكلانچلو باسم مقصورة سستاين فى روما .

وكان هذا أول ما عرف من تاريخ حياته وكان أهل تلك المدينة يستصحبون أنجالهم إلى الكنيسة وعند ما تبهرهم صورها يروون لهم قصصها فيحفظوها ويتناقلوها . وبهذه الطريقة سجلت فى التاريخ . وقد أغفلت أخبار طفولته وأسرته ولم يعرف عنه إلا أنه من أصل ألمانى وأنه ولد حوالى سنة ١٤٣٠ من أسرة متدينة فى مدينة ماينس . وقد كتب اسمه بهجاءات مختلفـة منها هانز – هوس – هملنج – مملنج – مملنك ، حسب تعدد لهجات من كتبوا عنه . وكان عمره حوالى عشر سنين لما مات «چان ڤان إيك» ، وقد عاصره من المصـورين «درك بوتس» و «بطرس كريستس» و «روچر ڤان در ويدن» . وقد كان له مرسم فى مدينة بروكسل حيث قابل الفنان «ميتر روجرز» المعروف .

وسبق القول بأن مملنك وفد إلى مدينة بروج حوالى سنة ١٤٦٧ وهى السنة التى توفى فيها فيليب دوق برجاندى . وقد تمكن من مشاهدة الجماهير التى حضرت تشييع الجنازة ، ورأى الشموع العديدة التى أضيئت فى الكنيسة ومراسم الدفن وزحمـة الاجتماع ودخان الإضاءة داخل الكنيسة ، تلك الأمور التى كانت له مواد غزيرة للتصوير سجلها فيما بعد فى لوحاته الرائعة .

ولمملنك فى المستشفى غير الصـــور واللوحات الكبيرة ، قطعة أخرى
فنية هى « خزانة القديسة إرسولا » وهى صندوق صغير بديع الصنع
مزخرف ، تبلغ أبعاده ثلاث أقدام طولا وثلاث أقدام ارتفاعاً وقدماً
واحدة عرضاً ، حليت جوانبه بثمان لوحات عليها صور مصغرة رائعة
تبين خمس منها قصة القديسة إرسولا ، ترى إحداها فى شكل ( ٧ ) وهى
تمثل « استشهاد القديسة إرسولا » وهى واقفة بين إحدى تابعاتها وبين
أحد أتباع البابا ، وقد صوّب الرامى سهمه إليها ، لأنها أبت التنازل
عن عقيدتها الدينية . وكان مملنك موفقا فى تصويرها قبيل مصرعها خلافاً
لغيره من المصورين الذين رسموها بعد استشهادها . ومما يؤخذ على
هذه الصورة أن أشخاصها متقاربون فى الشبه وأن فى حركاتهم بعض
الجمود ، على أن ذلك لايقلل من قيمتها كصورة تاريخية خالدة .

وقصـــة القديسة إرسولا مثل رائع لبطولة الاستشهاد والمحافظة على
المبدأ ، ويستطيع القارئ أن يعود إلى الكتاب الأول من رجال التصوير
« الفن الإيطالى » لمعرفة تفاصيل هذه القصة التاريخية . وغاية ما يقصده
مملنك بتصويرها هو توكيد عطف البابا على الشابة إرسولا ومرافقته
إياها فى بداية رحلتها عائدة من روما . وينسب البعض إلى مملنك ، أنه
أضاف إلى تلك القصة من مخيلته ما لم يثبته التاريخ . وقد برهن فى
رسمها على خبرته التامة بمدينة كولون وكاتدرائيتها وعماراتها الأخرى .

وتجب الإشارة إلى تفوق مملنك فى تصوير الأشخاص إلى درجة
مكنته من دقة التعبير عن العواطف فضلا عن دقة الشبه ، كما جاء فى
صورته « دوق كليفز » شكل ( ٨ ) بالمتحف الأهلى بلندن . وصـــورة
« مريم ماجدلين » أو « مريم المجدلية » شكل ( ٩ ) وقد أجاد فيها تصوير
الصـــدر والجسم وحركة اليد والذراع ، كما أحسن التعبير عن هدوء
نفسها وشدة إيمانها وتقواها .

ولما تغير الزمن ، وزال عن بروج عزها التليد الذى كانت ترتع فيه أيام الشقيقين ڤان إيك ، تأثرت نفس مملنك ، وانعكس حزنه فى تلوينه وتصويره . ولما تداعى مجد قصر مدينتى العظيم ، رحل التجار الأثرياء إلى أماكن أخرى ، وولى عن مملنك هناؤه ، بعد أن كان سعيداً فى منزله الجميل ، مع زوجته وأولاده ، حيث كان يكثر من الحفلات والولائم . وفى عام ١٤٨٩ ظهر عليه الهرم ، بعد عناء دام عشر سنين ، قضاها فى حال نفسيــة متعبة . ثم ماتت زوجه ، فأصبح وحيداً فى شيخوخته ، وكان قد أتم تصــويره فى المستشفى . وحم القضاء عام ١٤٩٤ ، ودفن فى سنت جيلز ، حيث يوجد له عدد وافر من الصور . كما أن له صوراً أخرى فى كل من أنڤرس وميونخ وبروكسل .

# هوجو ڤان در جوز

## ١٤٣٠ — ١٥١٢

## HUGO VAN DER GOES

---

ولد فى غنت وعاش فيها وفى بروج ، وبدأ حياته طليقاً لا يرعى حرمة أو ديناً ، ولكنه عاد فأوى إلى الدير بالقرب من بروكسل حيث كفّر عما فات ووهب نفسه لتصوير الموضوعات الدينية وعلى الأخص حياة المسيح عليه السلام وما تحمّله من الآلام . وكان فنه أكثر عمقاً وأهدأ إخراجاً من فن ڤان در ويدن . ولا يقــل عنه توضيحاً وتعبيراً . وتعتبر لوحته المسماة « الإعجاب بالمسيح » شكل ( ١٠ ) أهم أعماله وهى محفوظة فى متحف يوفتشى بفلورنس ، وقد حاكى فيها طريقة الشقيقين ڤان إيك فى رسم المنظر الطبيعى حيث تتباين الألوان الخضراء الفاتحة ، مع الألوان الأخرى الزرقاء القاتمة ، وكذلك فى وضع الزنبقة الحمراء فى مقدم الصورة بشكلها الطبيعى ، وحيث يتزن وجود الرعاة بشكلهم الفطرى وألوان وجوههم التى لوّحتها أشعة الشمس ، مع تصوير القديس يوسف القوى البنية وهو واقف يصلى فى الجهة المقابلة . ومما يؤخذ على هذه الصورة أن أجسام الملوك والملائكة الذين يصلون غير متناسبة . ولما نقلت هذه الصورة إلى فلورنس كان لها وقع كبير وتأثر بفنها كثير من الفنانين الإيطاليين واقتبسوا من طريقتها الشىء الكثير .

---

## كوينتن ماسيس

— ١٥٣٠

QUINTEN MASSYS

---

كان معروفاً باسم حدّاد أنفرس . ولما رفضت خطيبته الزواج به بسبب هـذه التسمية اشتغل مصوراً ونجح . ثم اشتهر بطريقته الفذة فى استعمال الفرجون بلمسات تجمع بين البساطة والقوة ، وفى مزجه الألوان بمهارة رائعة . وكان يكره الرسم الصغير ويعمل على تصوير الأشخاص بما يقرب من حجمهم الطبيعى ، فإذا لم يسمح مقاس النسيج بذلك اكتفى برسم نصف الجسم أو جزء منـه بالحجم الطبيعى حسب سعة النسيج كما جاء فى لوحته المسماة « رجل المال وزوجته » شكل (١١) باللوفر وهى أهم صـوره ، وتتضح على صفحات وجه الزوجة أمارات الملل والسآمة ، فقد انصرفت عن الكتاب وصوره وشرد ذهنها فى انتظار انتهاء زوجها عن عمله لينصرفا معاً إلى شئونهما المشتركة . أما الزوج فطمئن إلى عمله لا تتم قسمات وجهه عما هو معهود فى رجال المال من اللهفة والطمع ، وقد انعكست فى المرآة الصغيرة البادية فى صدر الصورة نافذة مقابلة يدخل منها الضوء فى إخراج متقن بديع .

وبوفاة ماسِّيس فى سنة ١٥٣٠ ، انتهت أولى مراحل الفن الفلمنكى ، وبدأت بعدها المرحلة الثانية المتأثرة بالفن الإيطالى .

---

# مابوز

١٤٧٢ — ١٥٣٥

( MABUSE )

---

أصل اسمه چان جوسارت ، ثم أطلق عليه اسم مابوز ، نسبة إلى مدينة مابوج مسقط رأسه . وتبين لوحتـه المسماة « عبادة الملوك » شكل ( ١٢ ) بالمتحف الأهلى فنه فى أول عهده ، وقدكان فلمنكيا صرفا وذلك قبل زيارته لإيطاليا ، وقد صورها فيما بين سنتى ١٤٩٧ ، ١٥٠٧ حين زيارته لدير سنت أدريان . وقد أظهر فيها العذراء فى ملابسها الزرقاء اللون جالسة فى وقار واتزان تحمل المسيح الطفل فى حجرها . ويلاحظ فى هذه الصورة ، تأثر مابوز بفن ڤان در ويدن ، فى تصويره حيطان المبنى . ونقطة الضعف فى هذه اللوحة هى جمود بسيط فى تصوير بعض الأشخاص . وبعد انتهائه من تصوير هذه اللوحة بعشر سنين زار إيطاليا فى صحبة دوق برجاندى ولما ذهبا إلى فلورنس وقع تحت تأثير ليوناردو داڤنشى ، وسرعان ما اندمج فنه بالفن الإيطالى فرقت طريقته وانصقل فنه وأصبح رساما ماهراً للصور الشخصية ، كما يتجلى فى صورة « مارجريت تيودور » شكل ( ١٣ ) المشهورة ، وهى الأخت الكبرى للملك هنرى الثامن وهذه اللوحة معروضة فى المتحف الاسكتلندى الأهلى فى أدنبرا .

# السير پيتر پول روبنز

١٥٧٧ — ١٦٤٠

RUBENS

كان أبوه جوهانز روبنز صيدلياً وطبيباً ومن الشخصيات المشهورة وكان يعيش هو وزوجتـــه فى أنفرس محوطين بالكثير من الأصدقاء الأوفياء . وكانت البلاد ترزح إذذاك تحت نير الاسپان . وكان لروبنز الكبير منصب يشبه منصب العمدة فى أنفرس .

ولد روبنز سنة ١٥٧٧ بعد وفاة المصور الإيطالى الشهير تسيان بعام واحد وقضى سنى طفولته فى المنفى مع والده لاضطرابات سياسية . وكان عمره عشر سنين عندما مات والده فعادت به أمه إلى أنفرس . وتفوق روبنز فى اللغات الحديثة فضلا عن مهارته فى اللاتينية . فلما أتم تعليمه فى المدرسة الدينية ، أدخلته أمه قصر الكونتس لالينج ليعيش فى كنفها ويندمج فى الحياة الاجتماعية . فبهرته الحياة وخطف بريق الجواهر بصره ، وسحره ذلك النعيم وطاب له أن يعيش فيه عاملا على أمل أن يكون له فى مستقبله فردوس مماثل . وقد أعجبت الكونتس العجوز بتابعها . ولما لاحظت عليه استعداده لفن التصوير نصحته بدراسته على « طوبيا ڤرهاست » أحد أفراد أسرتها ، إلا أن روبنز لم يقنع به معلماً ، ورغب فى المزيد فانفصل عن الكونتس وقضى نحوا من عام فى مرسم آدم ڤان دى نورت ، حيث كان يدرس فرانز هالز وغيره من المصورين . وكان ذلك المرسم مكتظا بالطلاب ، فلم تطب له الإقامة فيه طويلا . وتصادف أن وفد على المدينة ڤان ڤين العالم والفنان الشهير فانضم إليه

واشتغل عنده بهمة ونشاط عظيمين . ولما ظهرت كفايته في التصوير أثنى عليه معلمه ثناء عظيماً .

وفى عام ١٥٩٨ حصل روبنز على لقب أستاذ من هيئة مجلس الفنانين فى أنفرس واستقل بالعمل فى مرسم خاص كان له فيه تلاميذ ومساعدون ؛ ولكن نفسه الطموح لم تقنع بذلك فرحل إلى إيطاليا سنة ١٦٠٠ وكان عمره إذذاك ثلاثة وعشرين عاماً ، وأقام فى البندقية مدينة الألوان الزاهية والملابس الأنيقة التى تبهر الأبصار ، ومحط رحال الخليط من أهالى الشرق السمر الوجوه المتعددى الأزياء . وزار القصور والمعابد ودرس فن تورنتو الإيطالى العظيم ، الذى كان قد جاور ربه منذ ست سنوات ، وأعجب بفنه كما أعجب بفن كل من تسيان وجيورجيون .

وكان روبنز يقيم فى البندقية فى منزل يسكنه أحد أتباع حاكم مانتو الذى حدّث سيده عن مقدرة روبنز وعظمة فنه ، فاستدعاه الحاكم وكانت هذه بداية شهرته إذ وجد فى مستشفى جونزاجا مجالا متسعاً لإظهار فنه وعبقريته .

وقد كان لخلقه الجميل ولعلمه الغزير ، ما جعل الدوق يعهد إليه بشئون أخرى غير التصوير ، فظل يرتع فى ترف البلاط ونعيمه ويدرس التصوير الإيطالى . وبعد عام من إقامته هناك انتدب للسفر إلى روما لينقل رسماً من تصوير رافايللو كان الدوق يعجب به كثيراً . ودرس فى روما مظاهر مدنيتها الغابرة وفنون عماراتها الفنية فبهرته عظمة الأولى ، وضخامة الثانية . وكان يحب التكبير فجاءت معظم صوره من الحجم الكبير . وكان قوىّ الابتكار قديراً على قهر الصعوبات والتغلب عليها كما يتجلى ذلك فى كل إنتاجاته الفنية .

وفى عام ١٦٠٣ أرسله الدوق إلى مدريد يحمل هدايا لفيليب الثالث

حيث أقام عاماً كاملا يدرس الصور العظيمة التي رسمها تسيان ونقلها شارل الخامس إلى هناك ، وكان المصور الإسپانى الوحيد الذى قابله روبنز فى مدريد هو ألجريكو ، إلا أنه لم يعجب بفنه . وقضى السنوات التى أعقبت الزيارة فى إيطاليا ، يتنقل من مدينة إلى أخرى حتى تمكن أخيراً من دراسة فنون المدارس المختلفة . ولكن بالرغم من ذلك ظل فنه الأصلى فلمنكياً على الدوام . وقد بلغه وهو فى روما سنة ١٦٠٨ خبر مرض أمه فسارع إلى أنفرس دون أن يستأذن الدوق ولكنه وصل متأخراً فماتت أمه قبل أن يراها وأثر ذلك فى نفسه وانعكس فى تصويره لمدة طويلة .

ومن ذلك الحين بدأ روبنز حياة جديدة ، وأراد العودة إلى مانتوا حيث سبق أن طابت له فيها الحياة ، ولكن شهرته كانت قد عمت كل البلاد المنخفضة وكان دوق المقاطعات البلجيكية ودوقتها يعرفان قيمة فنه ، فلما عاد إلى وطنه رغبا فى أن يحتفظا به فعيناه مصوراً خاصاً لهما بمرتب خمسمائة جنيـه فى السنة ، علاوة على ما كان يرتع فيه من بهاء الترف والنعيم فى قصرهما . وكان الأمن قد استتب فى ذلك الوقت وانتصرت الكنيسة على من كفروا بها بعد أن تخربت الكنائس وضاع فنها ، فأراد الحاكم أن يعيد للدين معابده ، وما كان فيها من فنون فعمل على استرجاع العلماء الذين هاجروا لإصلاح ما فسد . وشرع روبنز فى التصوير الدينى بتلك الكنائس ودور الدين . ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد لطول إقامته فى وطنه بل كانت هناك حبيبة علق بها قلبه هى إيزابلا برانت ، تزوجها سنة ١٥٠٩ ، فتمت عليه نعمة الله وكان عمره إذ ذاك اثنتين وثلاثين سنة . ولصورة « روبنز وزوجته الأولى » شكل ( ١٤ ) المعروضة فى متحف ميونخ شهرة واسعة ، وكان قد رسمها فى العام الأول من زواجه ، وهى وإن كانت تمثل فنه فى طوره الأول ، إلا أنها جاءت دقيقة فى الرسم

غنية بتصوير التفاصيل صريحة فى قوة التعبير ، وهذه هى أهم أسس نجاحه فى الطور الثانى فى فنه .

وأنتج فى ذلك الوقت من الصور ما أصبح أساس شهرته على الإطلاق وخصوصاً الصورة الشهيرة باسم « إنزال المسيح عن الصليب » شكل ( ١٥ ) فى كاتدرائية أنفرس ، وهى صورة رائعة تعبر أحسن تعبير عن هذا الموضوع الدينى الحساس بالرغم من أن روبنز لا يعد مصوراً دينياً ، ولكن إجادته للتصوير وشدة محاكاته للطبيعة مع رشاقة التصميم وبهجة التلوين ، جعلت هذه الصورة فى المقام الأول . واستمر روبنز دائباً فى العمل وشجعته الشهرة التى نالها وسعة ثروة زوجته وما كان ينعم به من هناء منزلى عميم .

وازدحم مرسمه بالتلاميذ وكانت سنة ١٦١١ أسعد أيام حياته إذ رزقه الله غلاماً اهتم به الحاكم وكان موضع عطفه وعنايته . ونظراً لكثرة تلاميذه وتجمعهم حوله أطلق على مرسمه « مصنع التصوير » . وليست فى هذه التسمية مغالاة ، لأنه لم يكتف بذلك العدد الوفير من المساعدين والتلاميذ لمعاونته فى زخرفة الكنائس والقصور ، بل كوّن فرقاً رحالة لتصوير الأشخاص والمناظر الطبيعية واللوحات الأخرى . وكانت صورته المسماة « المسيح فى منزل مارثا ومريم » شكل ( ١٦ ) بالمتحف الأهلى بدبلن من صنع إحدى هذه الفرق الرحالة ، وقد رسم بنفسه الأشخاص فقط وأشرف على تصوير باقى الصورة ، حتى تمكن من إظهارها على نسق واحد وكأنها تصوير لفنان واحد .

ويروى أن رئيس كاتدرائية مالنز طلب مرة من روبنز رسم صورة « العشاء الربانى » فأرسل إليه فناناً من أعوانه ليقوم بالعمل بالرغم من معارضة رئيس الكاتدرائية ، ثم تباطأ فى الذهاب إليه حتى قطع

مساعده شوطاً كبيراً في العمل ، وأخيراً ذهب إليه فأمسك بالفرشة على مرأى من الرئيس وشرع يصححها ويؤلف بين أجزائها ولم يلبث أن أتم عمله ، ونظر إلى الرئيس فإذا به يبتسم ابتسامة الرضا وقد فطن إلى حكمة التعاون في العمل توفيراً للزمن والمجهود .

وكان روبنز فيما بين عامى ١٦٢١ ، ١٦٢٥ كثير التردد على باريس ، ليشرف على تزيين قصر لوكسمبورج ، بأمر من الملكة مارى دى مديتشى ، زوجة هنرى الرابع ، التي كانت ترغب في تسجيل تاريخ حياتها في إحدى وعشرين صورة . ولم يكن تاريخها موضوعاً يهم روبنز أو يشجعه على العمل ولكنه ذلل ذلك بأن ابتكر من الحوادث ما جعل تاريخها يتسلسل كقصة محبوكة كما ترى في الصورة المسماة « هنرى الرابع يتسلم صورة ماريا دى مديتشى » شكل (١٧) باللوفر ، وقد مزج فيها الخيال بالحقيقة ، فصور هنرى الرابع ملكاً وعاشقاً ، مع احتفاظه بوقار الملك على نمط تصوير سابقه ڤان دايك . وأظهر ذلك الزواج الرسمى وهو الذى عقد للمصلحة العامة وكأنه زواج عشق وحب ، فصور كيوبد وغيره من أساطير الشعر ، في أوضاع مناسبة في الصورة وقد ارتكزت فرنسا على كتف الملك في زى فتاة تلبس خوذة .

ومن لوحاته الشهيرة التي صورها في قصر لوكسمبورج ما زينت به أبهاء « صالات » جالرى دى مديتشى ومنها شكل (١٨) وفيها ترحب فرنسا بمقدم مارى دى مديتشى عند نزولها إلى البر في مرسيليا . وأضاف روبنز في مقدمة الصورة عرائس البحر الفاتنات لتضفى طرفاً من روعة أجسادها الغضة على عظمة الحادث وأبهته . وهى صورة رائعة لا ينقصها إلا شخصية هنرى الرابع لاستقبال عروسه العظيمة مارى دى مديتشى .

ولم يكن روبنز مقتصراً على التصوير كما ذكر ، بل كان يقوم بمهام

سياسية : ولما مات الحاكم سنة ١٦٢٦ وانتهت بموته الهدنة ما بين اسبانيا والممالك المنخفضة أرادت زوجة الحاكم تجديدها والعمل على اتحاد هولندا وانجلترا مع اسبانيا والتباعد عن فرنسا فانتخبت روبنز لتلك المهمة .

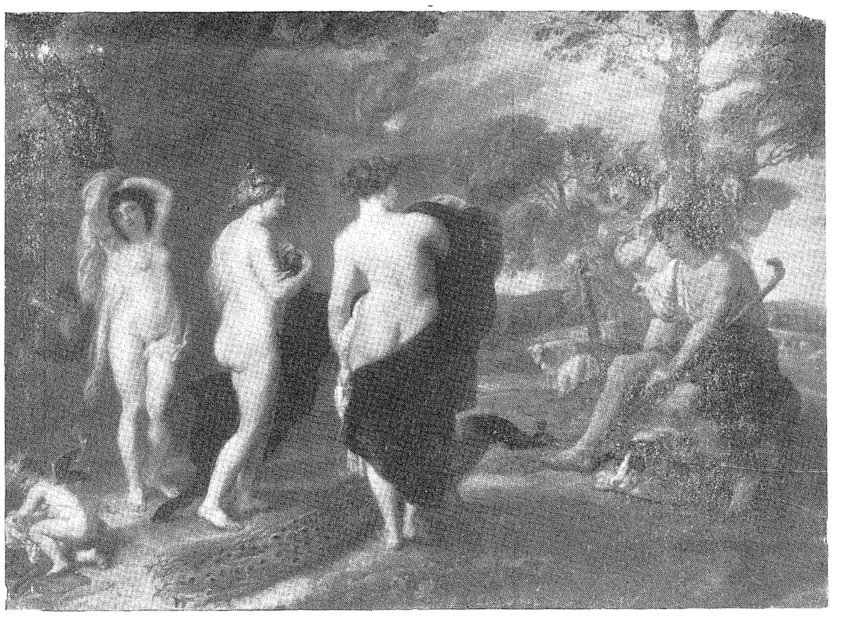
ثم فقد روبنز زوجته فبكاها بكاء مراً لفرط حبه لها ، ولكى يشغل نفسه عن التمادى فى الحزن شرع فى رسم صورتها وصورة ولديه الصغيرين . ولم يسمح لأى من تلاميذه أو مساعديه أن يمس صورتها ، فجاءت تحفة قيمة حفظت بمتحف ليشتنشتاين فى ڤينا . ثم انصرف عن ملاهى الدنيا وملاذها وعن السياسة ومشاغلها إلى العمل المنتج فى فنه . وكان دوق باكنجهام صديقاً حميماً له فما لبث أن استدعاه لعقد معاهدة بين انجلترا واسبانيا ، إلا أن فيليب الرابع ملك اسبانيا احتج مستهجناً اشتراك فنان فى هذه المهمة السياسية . ولكنه لما تقابل معه فى مدريد عرف قدره وصدق على المعاهدة ، وهذا دليل على قوة شخصية روبنز وتأثيرها فى علية القوم والملوك . وقد قدم إليه روبنز بعد ذلك هدايا نفيسة منها صور قيمة من صنعه . وتقابل هناك مع ڤيلاسكز المصور الاسبانى الشهير وكان عمر روبنز ٥٢ سنة وعمر ڤيلاسكز ٣٠ سنة . وكان ملك أسبانيا مولعاً بمشاهدة روبنز أثناء قيامه بالتصوير : وهو ينقل بعضاً من صور تسيان العظيم التى كان شديد الإعجاب بها ، وفى ذات يوم دعا الملك فيليب الرابع روبنز وكلفه السفر إلى انجلترا يحمل اقتراحات إسبانيا إلى الملك شارل الأول ومنحه لقب « ناموس خاص » ، فسافر فى الحال وأحسن الملك استقباله . ومما يدل على حزم روبنز وكياسته السياسية والفنية ، تلك الصورة المسماة « الحرب والسلام » "War and peace" شكل (١٩) بالمتحف الأهلى بلندن وترى فيها



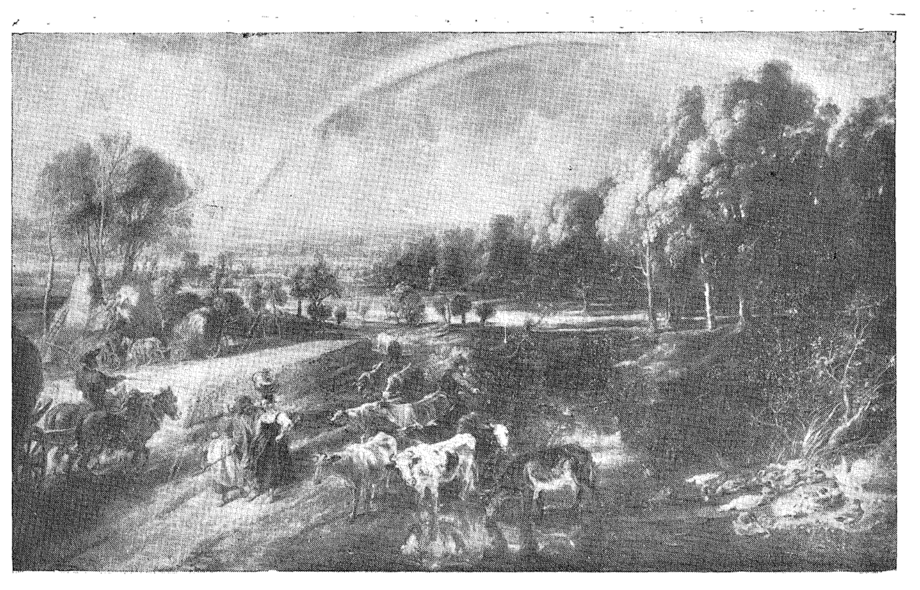
شكل ( ١٨ ) فرنسا ترحب بقدوم مارى دى مديتشى — فى قصر اوكسبورج بباريس — تصوير روبنز



شكل ( ١٩ ) الحرب والسلام – المتحف الأهلى بلندن – تصوير روبنز



شكل ( ٢٠ ) تحكيم باريس – فى المتحف بلندن – تصوير روبنز



شكل ( ٢١ ) منظر قوس قزح — فى متحف والاس بلندن — تصوير روبنز



شكل ( ٢٢ ) ذات القبعة الخوص — فى المتحف الأهلى بلندن — تصوير روبنز



شكل (٢٣) آن النمساوية – فى متحف اللوفر بباريس - تصوير روبنز



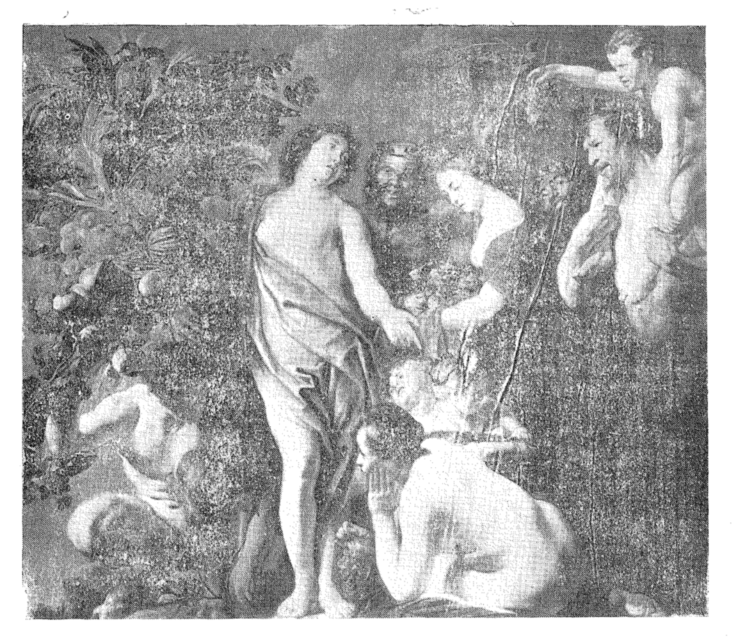
شكل ( ٢٤ ) هيلين فورمنت وطفلاها ـ فى متحف اللوڤر بباريس ـ تصوير روبنز



شكل ( ٢٥ ) – الملك يشرب – فى متحف اللوفر بباريس – تصوير جوردينز



شكل ( ٢٦ ) الانجيليون الأربعة ـ فى متحف اللوفر بباريس ـ تصوير جوردينز



شكل ( ٢٧ ) ثروة الخريف — فى متحف والاس بلندن - تصوير چوردينز



شكل ( ٢٨ ) المركيزة كاتانيو — فى المتحف الأهلى بلندن — تصوير ڤان دايك



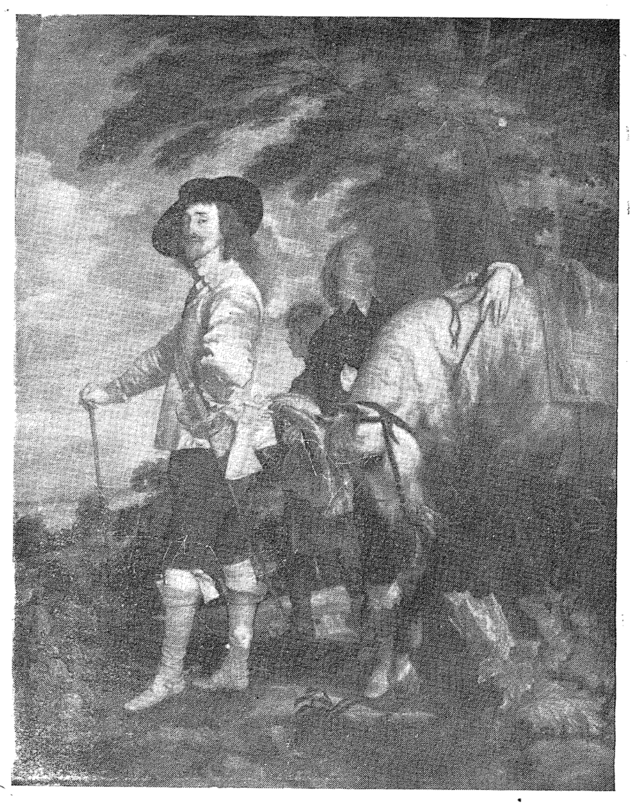
شكل ( ٢٩ ) الفنان راعٍ - فى متحف والاس بلندن - تصوير ڤان دايك



شكل ( ٣٠ ) اللوردان چون وبرنارد ستيوارت ـــ فى متحف ـــ تصوير فان دايك



شكل ( ٣١ ) شارل الأول ــ فى المتحف الأهلى بلندن ــ تصوير ڤان دايك



شكل ( ٣٢ ) شارل الأول ــ فى متحف اللوفر بباريس تصوير ڤان دايك



( شكل ٣٣ ) فيليب لى روى ـ فى متحف والاس بلندن ـ تصوير ڤان دايك

السلام ممثلا فى شكل سيدة جميلة فى وسـط الصورة إلى اليسار قليلا وقد وضعت يدها على ثديها ونظرت فى حنان نحو فريق من الأطفال ، بينما ظهرت مينرفا إلهة الحكمة خلفها ، تدفع بشخص الحرب إلى الوراء تطارده . وقد جثت لبوءة تحت قدميها مستسلمة وركع أمامها پان (Pan) إله المراعى والخصب ، وقد وفدت الثروة فى شكل سيدة تحمل إناء مملوءاً بالجواهر والأوانى الثميـنة ، وبجوارها السعادة تدق الدف مبتهجة متهللة . وقد قدم روبنز هـذه الصورة هدية الملك شارل الأول عند وصوله إلى لندن . وكان دوق باكنجهام صديق روبنز الحميم قد اغتيل منذ عام ، وكان الملك شارل الأول لا يزال شديد الحزن عليه . ولكن بالرغم من ذلك فإن روبنز أمكنه الاتصال به والنجاح فى القيام بالمهمة الخطيرة التى كلف بها وأصبح ذا دالة كبيرة على الملك شارل الأول . وبالرغم من هذا النجاح فإنه لم يهمل فنه واستمر فى الإنتاج . ومن طريف ما ذكر أن أحد معارفه قال له مرة وهو يصور : « إنى ألاحظ أن السـفير العظيم أخـذ يسلى نفسه بالرسم » . فأجابه على الفور قائلا وهو يضحك : « لا يا عزيزى ، بل بالعكس ، إن الفنان العظيم عمد إلى السياسة يسلى بها نفسه » .

وكرّت الأيام تباعا ، وكثرت الرسائل الواردة إليه من اسپانيا تستدعيه للعودة فلا يعبأ بها . وقد أغدق الملك شارل عليه المنح والهدايا كما أنعم عليه برتبة الفروسية فأصبح من ذلك اليوم يدعى السير پيتر پول روبنز . وفى مارس سنة ١٦٣٩ عاد إلى وطنه .

وكان فى أثناء الشهور الأولى من وصوله يهيم بحب ابنة أخت زوجته الأولى ، وبالرغم من صغر سنها فإنه تزوجها ولم تتجاوز السادسة عشرة ، وكان زواجاً سعيداً موفقاً . وطابت لروبنز الإقامة فى بروكسل وظل يعمل

بجد فكان يغادر فراشه في الخامسة صباحاً فيؤدى صلاته ثم يواصل العمل حتى غروب الشمس . وكثيراً ماكان ينصت وهو يصور إلى صديق يقرأ له . وكان عند ما يخيم ظلام الليل يمتطي صهوة أحد جياده الإسبانية ويسرع إلى الخلوات . فإذا ما عاد إلى منزله أحاط به أصدقاؤه يسمرون : وكثيراً ما كان يستصحب زوجته الشابة إلى الحفلات الليلية لقضاء سهرات سعيدة هنيئة .

ولم يكن روبنز يسلو السياسة : فقد انتخب ضمن الوفد الذى سافر إلى الحدود ، ليستقبل ماريا دى مديتشى ، عند هربها من وطنها فرنسا ، ثم كانت وفاة الأرشيدوقة إيزابيل سنة ١٦٣٣ آخر عهده بشئون السياسة . ولما وفد فرديناند النمساوى كردينال انفانتانا ، زينت أنفرس لاستقباله ، وكانت مهمة روبنز أن يعد تصميمات الزينة ويسلمها لتلاميذه لينفذوها . وقد أقيمت أقواس النصر في الشوارع بكثرة ورفعت الأعلام والرايات ، وعلقت الصور من النوافذ فكان احتفالا باهراً لم يسبق لأنفرس أن رأت له مثيلا . وسر فرديناند بهذا الاستقبال الحافل وكان قد رأى روبنز في اسبانيا فسأل عنه وذهب لزيارته وأقام عنده مدة طويلة ، وأخرج روبنز في تلك المدة كثيراً من صوره العظيمة . وقد أرسل إلى ملك اسبانيا في سنة ١٦٣٨ رسالة ومعها ١١٢ صورة هي إنتاج سنة واحدة . وكان قد رسم بعضها بنفسه وساعده تلاميذه في رسم الباقي : ومما يدل على سرعته في التصوير ، أن فرديناند شقيق الملك فيليب طلب مجموعة مثلها فكان جواب روبنز : « يجب علىَّ لكى أتمكن من إنجازها بسرعة أن أصورها بنفسى » . وهذا ما حدث بالفعل فجاءت آية في الروعة وكان من أشهرها صورة « النعم الثلاث » بمتحف پرادو بمدريد ، وصورة « تحكيم باريز » شكل ( ٢٠ ) (Judgement of Paris)

المتحف الأهلى بلندن ، وهى توضح الأسطورة الشهيرة التى دارت حوادثها حول النزاع بين الإلهات الثلاث ، چونو ( Juno ) زوجة چوبيتر ( Jupiter ) ( إله الآلهة ) ، وهى ملكة السماء وحامية الزواج ، ومينرڤا ( Minerva ) إلهة الحرب والحكمة والفنون والعلوم والشعر والحياكة ، وڤينس ( Venus ) إلهة العشق والجمال ، وكيف التجأ الجميع إلى أحد سكان الأرض وهو الشاب پاريز ( Paris ) ليحكم بينهن . وقد جلس الشاب على صخرة ممسكا فى يده بالتفاحة التى سيقدمها لمن تعتلى منهن عرش الجمال ، ووقف خلفه المريخ ( Mercury ) إله التجارة والربح ، يشاهد ما يدور ، بينما ركع كيوبد ( Cupid ) إله الحب فى يسار الصورة . وقد وقفت الآلهات الثلاث عاريات إلا من غلالات رقيقة تستر القليل من أجسادهن ، وهن يتبارين فى إظهار مفاتن جمالهن أمام الحكم . وقد أدارت ( Juno ) ظهرها مولية وجهها نحو الشـــاب پاريز ، تطالبه بأحقيتها فى عرش الجمال ، وقد وقف الطاووس وهو رمزها ، أمام قدميها بذيله الحريرى الطويل ، ورفعت ( Minerva ) ذراعيها حول رأسها زيادة فى الفتنة ، وخلفها معدات الحرب والقتال . ثم توسطت ( Venus ) ابنة الأمواج الاثنتين ، چونو ومينرڤا ، واقفة وقفة الواثقة بنفســـها ، مطمئنة دون كبرياء أو صلف وقد ضمت يديها إلى صدرها ، وهى ترنو إلى پاريز بنظرات حالمة وهو يقدم إليها التفاحة إعلاناً بفوزها على منافستيها . ومن آيات إتقان إخراج الصورة دقة تركيبها المتزن المتناسق ، وقد أجاد روبنز تصوير المنظر الخلوى الجميل ، ومزج فيه بين ألوان الخريف الذهبية ، وحمرة الشفق العسجدية ، كما أتقن الترجمة عن الجمال الإغريقى بلغة التصوير ، وكما وفق التوفيق كله فى إبراز مفاتن أجساد الآلهات ، مع احتفاظه لهن بمظهرهن الأسطورى .

هكذا كان روبنز قوياً فى كل فروع التصوير ، سريعاً فى الإنتاج ، فلم يصعب على المؤرخ أن يلخص فنه فى كلمات قليلة جاءت على لسان الدكتور ريشار موثهور عنـــد رؤيته صـــورة « منظر قوس قزح » شكل ( ٢١ ) بمتحف والاس بلندن : « إنك لا تجد فى تصوير روبنز تنافراً بين عناصر تصويره ، بل تجد كأن الندى قد أكسب فنه جدّة واتساقاً ، فتظهر أشجاره وهى تفيض انتعاشاً يشبه انتعاش الطفل عندما يشبع ويترك المائدة سعيداً مرحاً » .

وكان روبنز يحب الطبيعة ولا يملها فيتجه إليها مطمئناً تحدوه هيبة صادقة قوية . وكانت معظم صوره للمناظر الطبيعية مأخوذة عن المناطق المجاورة لمحل إقامته ، ولا يدل هذا على حبه الطبيعة فحسب بل على اعتزازه بالجيرة واكتشاف آيات الجمال فى كل مكان .

ثم توالت السنون وروبنز يعمل ويجد ، رغم اعتلال صحتـــه ومرضه بالنقرس ، وكانت صوره ترسل من حين إلى حين إلى مدريد ، وكان يقضى الصيف فى قصره المنيف بالقرب من فلفورد ليتمتع بالطبيعة ومناظرها وبهائها . وله فى المتحف الأهلى بلندن لوحات قيّمة منها « القبعة الخوص » شكل ( ٢٢ ) والسيدة المرسومة فيها هى أخت زوجته الثانية وقد أجاد تصوير ابتسامتها الخفيفة ، وعينيها القويتين ، وجلستها الوقور ، ويديها المضمومتين إلى صدرها ، وبلغ فى ذلك ذروة النجاح . كما أن له فى متحف اللوفر بباريس صورتين عظيمتين أولاهما « آن النمساوية » شكل ( ٢٣ ) وهى فى ثوبها التقليدى الثقيل تشع يداها نوراً من أسفل الصورة كما يشع وجهها نوراً من أعلاها ، وقد امتازت بالاتزان فى جلستها وبالوقار فى مظهرها . وثانيتهما صـــورة « هيلين فورمنت وطفلاها » شكل ( ٢٤ ) وهى زوجته الثانية تلك الفتاة الصغيرة السن التى قبلت أن

تبادله الحب وتضفى عليـــه السعادة . وقد عبّر فيها عن عمق حبه لها ولطفليه منها تعبيراً ملموساً يدل على تمكنه من فنه . ولا يؤخذ على هذه الصورة إلا المبالغة فى حنى رأس السيدة ، كأن شيئاً يدفعها نحو الأمام .

ثم اشتد عليه النقرس ، وكان أفراد أسرته يلتفون حوله لتخفيف وخز آلامه . وكان روبنز عالى الهمة ، عظيم الشجاعة ، محباً للحياة ، واسع الكرم ، جمع ثروة كبيرة صرفها على زوجه وأولاده . وقد أنتج تحفاً غالية لا تزال مدرسة للكثيرين من جميع أنحاء العالم . وهكذا كان خياله هديا لغيره ، وكان تلوينه نبراساً لهم ، كما كانت ســيرته كفنان وسياسى محمودة ، جعلته يصادق الملوك ويعدّ من الرجال البارزين فى تاريخ أوروبا .

وصـــوره أكثر من أن تحصى ، وهى تحلى جميع المتاحف الهامة فى العـــالم .

---

# يعقوب جوردينز

١٥٩٣ — ١٦٧٨

JORDEANS

---

هو أحد تلاميذ روبنز النابهين ومساعديه المشهورين . وهو لم يغترب عن هولندا طول حياته ، وكان أول ما عرف عنه حبه لابنة أستاذه الأول ڤان نورت ، وأنه ظل يدرس فى مرسمه ثمانية أعوام بالرغم من تفوقه على أستاذه وذلك ليكون بالقرب منها . ولما تزوجها اتخذها نموذجاً وصورها فى أوضاع مختلفة فسجل مفاتن جمالها بنجاح كبير .

وقد قام بمفرده بزخرفة الدار المعروفة باسم « منزل الغابة » فى مدينة لاهاى ، فرسم فيها لوحات تبين مناظر تاريخية معروفة ولكن تصويره الأساطير القديمة لم يصل إلى ما وصل إليه روبنز . أما فى تصوير الموضوعات العادية فقد ارتقى فيها إلى درجة الكمال كما هو ظاهر فى صورة « الملك يشرب » شكل ( ٢٥ ) المحفوظة فى متحف اللوفر بباريس ، فهى جيدة التكوين قوية فى تصوير الحركة وتعبيرات الوجوه وفى التلوين وبيان النور والظل . وقد تمكن فيها من تصوير عشرة أشخاص فى تلك المساحة الصغيرة فى تكوين متزن من غير أن تزدحم بهم الصورة ، وذلك بتقريبه كل ثلاثة رؤوس معاً ، مع حبكهم جميعاً فى مجموعة واحدة ينشدون أغنية قديمة عنوانها « الملك يشرب » احتفالا بعيد الغطاس ، وقد تجلت على وجوههم جميعاً سيماء المرح والسعادة والهناء . أنظر إلى الفتاة الوسطى وقد التفتت نحوك فى رشاقة يسطع وجهها غبطة وجمالا . ثم انظر إلى الصبى وقد سقط الضوء على وجهه

وكأنه كتاب مفتوح تقرأ فيه مرح الطفولة ونقاءها . ثم تأمل الفتى الجالس إلى اليمين فتكاد تسمع صوته وهو يغنى . إنها صورة جمعت فأوعت ، ونطقت فأجادت التعبير .

وله فى اللوفر صور أخرى هى « رجل » و « يسوع يطرد المرابين من المعبد » و « الإنجيليون الأربعة » شكل ( ٢٦ ) ، وهى دراسة متقنة لكبر السن ووقاره وللتقى وروعته . وقد صور فيها أربعة رجال من عامة الناس فأحسن التصوير وكأنك تقرأ فى قسمات وجوههم المعانى المنعكسة فيها مما يقرءون وفيما هم يفكرون .

كما أن له فى متحف درسدن « مأدبة أسرة » ، وفى متحف والاس بلندن « ثروة الخريف » شكل ( ٢٧ ) وهى من آياته البينات التى رسمها لتمجيد « باكوس إله الخمر » ، وقد أثبت فيها غزارة مادته فى هذا الموضوع وقيل إن الذى صور الفاكهة والخضر وأوراق الشجر فيها هو معاصره فرانز سنايدرز ( ١٥٧٩ – ١٦٥٧ ) المشهور بتصوير الطبيعة الصامتة .

وقد كان چوردينز مصوراً للأشخاص المشهورين فأخرج صورة قيمة هى « البارون واها دى لينتر من نامور » ، وغيره من كبار القوم ممن عاصروه متبعاً فى ذلك أسلوب أساتذته روبنز وغيره .

---

# السير أنتونى ڤان دايك

## ١٥٩٩ — ١٦٤١

## VAN DYCC

كان لأمه عليه الفضل الأول فى دروسه الفنية الأولى ، كما أنه ورث عنها ذلك التفوق الفنى الذى بعثه فناناً ماهراً . وقد أظهر وهو لا يزال صبياً مهارة وسرعة فى نقل ما يحيط به فى تصوير أمين متقن . وماتت أمه وهو صبى بعد أن ضمنت له مستقبلا فى هذا الفن الجميل . وكان أبوه تاجر حرير اكتسب مالا وفيراً وأنجب اثنى عشر طفلا كان أنتونى سابعهم . وكان لثروة أبيه فضل تمهيد الطريق أمامه فلم يحمل هم اكتساب العيش وهو صغير . وكان الوالد فخوراً بابنه لأنه وفق إلى صناعة تناسب هواه وتدر عليه ربحاً كثيراً .

وتتلمذ أنتونى فان دايك وهو فى العاشرة على فنان معاصر واستمر معه ست سنوات درس فى أثنائها أقصى ما يمكنه . ثم استقل بالعمل وهو فى السادسة عشرة فأخرج صورة « رأس المسيح ورءوس أتباعه » وقد أعجب روبنز بها إعجاباً شديداً فاستدعاه إلى مرسمه وعينه مساعداً له سنة ١٦١٨ .

وطابت له الإقامة فى مرسم روبنز وابتهجت نفسه لمشاهدة أستاذه وهو يصور فتخرج الصور من بين أنامله تحفاً غالية . وكثيراً ما اشترك معه فى التصوير فكان يرسم له ملابس الأشخاص وبعض أشياء أخرى كان يتركها له . وفى ذات يوم غادر روبنز مرسمه للترويح عن نفسه وخلا الجو لتلاميذه ومساعديه فهبوا يلعبون فى مرح الصبى ، وزلت قدم

أحدهم فهوى بصورة كانت على الحامل لم تكن ألوانها قد جفت بعد فتالفت وضاعت معالم الأنف والذقن لأهم شخص فيها ، فدب الذعر فى قلوب التلاميذ وخافوا غضب الرئيس فصاح أحدهم يقترح استدعاء ڤان دايك لإصلاحها وكان يشتغل هادئاً كعادته فى غرفة مجاورة ، وقبل ڤان دايك وجاء الإصلاح متقناً ، فاتفقوا على ألا يخبروا معلمهم عند عودته . ولكن لما وقع نظر المعلم عليها فى اليوم التالى وتأملها ملياً كعادته قبل أن يشرع فى تكملتها ، لحظ تحسيناً فبادر تلاميذه بشرح ما حدث فسُرّ روبنز بمهارة ڤان دايك ومدحه وعفا عن تلاميذه . ومما لا شك فيه أن ڤان دايك تفوق أيضاً على أستاذه روبنز فى إخراج أشخاصه فى مظهر أكثر حيوية وتهذيباً .

ورغب ڤان دايك فى الهجرة فأغراه بعض الناس بالسفر إلى انجلترا ، وماكانت بلاد التاميز فى ذلك الحين مجالا لمثله . على أن چيمس الأول ملك انجلترا منحه مائة جنيه ثمناً لبعض صور قام برسمها ، ولكن لم تطل مدة إقامته هناك عن عام واحد ، فعاد إلى وطنه حيث نصح له روبنز عام ١٦٢٠ بالسفر إلى إيطاليا لدراسة آيات الفن الإيطالى . وكانت لذلك نتائج مباشرة فى فنه لأنه تأثر إلى حد كبير بفن تسيان كما ترى فى صورته للمركيزة كاتانيو شكل ( ٢٨ ) وصورة أخرى لشخصه وكلتاهما محفوظتان بالمتحف الأهلى بلندن . ثم صورته المسماة « الفنان راع » شكل (٢٩) بمتحف والاس بلندن وهى صورة مطابقة تماماً لفن تسيان .

ثم عاد إلى هولندا وأقام فى لاهاى يعمل بجد . ويروى عنه فى ذلك الحين أنه زار فرانز هالز فى مرسمه مرة دون أن تكون له به سابق معرفة ، وادعى أنه ثرى يطلب صورة لنفسه فى ظرف ساعتين هما أقصى مدة يستطيع أن يقضيها فى المدينة . وكان فرانز هالز يحب العمل ولا يرفضه

فقبل مبتهجاً وأتم الصورة فى نهاية الوقت المحدد فدهش ڤان دايك لهذه السرعة العجيبة وقال لهالز يظهر أن التصوير أسهل مما كنت أتصور ، فهل لك أن تجلس أمامى لعلى أتمكن من تصويرك . فلم يمتنع هالز من قبيل الفكاهة وجلس أمامه ، ولكنه سرعان ما لحظ أن هذا الشخص ليس رجلا عاديا بل فناناً كبيراً ، فصبر فى جلسته حتى تمت الصورة فى وقت أقل مما استغرقه هالز فى تصوير ڤان دايك ولم تقل عنها إتقاناً ، فصاح قائلا عفواً يا سيدى فما أنت إلا واحد من اثنين ، إما ڤان دايك أو شيطانه .

وإن من يدرس لوحته المسماة « اللوردان چون وبرنارد ستيوارت » شكل ( ٣٠ ) يجد أن مهارته تعدت المظهر الخارجى ونفذت إلى القلب والروح فبرهن بذلك على أنه كان فنانا لا يبارى وعالماً نفسياً لا يجارى وقد أنشأ لنفسه تلك الطريقة الفنية الفذة فى تصوير الأشخاص . وقد حاول الكثيرون ممن تلوه أن يجاروه فيها ، ولكن أحداً منهم لم يستطع أن يبلغها . أما إذا عدنا إلى فنون من سبقوه فإنا نجد أن فى فن بوتشللى شبيها بهذه الطريقة بالرغم مما بين الاثنين من تباين .

وقضى ڤان دايك الأعوام الثلاثة التالية فى الدراسة متنقلا فى بلاط الملوك الأجانب وأسعده الحظ فاكتسب مالا وفيراً وحظوة كبيرة . واختلط بعلية القوم فازداد شأناً وخبرة . وكان يظن أنه عند عودته إلى وطنه سيلقى تقديراً وترحيباً . ولكن ذلك لم يتحقق رغم شهرته التى سبقته إلى قومه الذين ظنوا أنه يتقاضى أجراً كبيرا فانصرفوا عنه . فسافر بعد عامين إلى لندن ومدريد حيث توافر له العمل . إلا أن الغيرة دبت فى قلب زملائه فثارت نفسه وصمم على الرحيل إلى مكان يصفو له فيه الجو . وعاد يفكر فى انجلترا مرة ثانية حيث عرف عن ملكها شارل الأول عطفه على الفنانين وتشجيعه إياهم ، ولكن خاب فأله مرة أخرى إذ لم يهتم

به شارل ولم يحفل أحد بقدومه فلم تطل إقامته هناك وعاد ثانية إلى أوروبا . فلما نمى الخبر إلى شارل الأول — وكان قد اطلع على صورة الموسيقى « نيقولا لانير » التى كان قد رسمها هناك أخيرا — تأسف وأرسل خلفه الرسل يرجونه العودة إلى انجلترا . ومن ذلك الوقت بدأ نجمه يتلألأ وكانت هذه بداية حسنة للمدرسة الإنجليزية . وهكذا ظهرت عبقرية ڤان دايك فى انجلترا رغم الاضطرابات السياسية ورغم انصراف الشعب الإنجليزى للتجارة وتفضيل المادة على الفن . وكان شارل بطبيعته محباً للفنون ويتمنى لبلاده التفوق فيها ولذلك كان يشجع الفنانين بكل قوته . وكانت الملكة كذلك تعشق الفن الجميل بحكم نشأتها الفرنسية فانتشرت الفنون والآداب الأجنبية وأصبحت لها المكانة الأولى . وكثر النقل عن أوروبا بفضل ڤان دايك وغيره من الفنانين . وكادت تلك الروح تثمر ثمارها الطيبة فى حينها فيرقى الفن الإنجليزى وتتكون لتلك البلاد آيات تضارع فن إيطاليا ، لولا شبوب الثورة التى أخرت نهضة انجلترا فى التصوير نحو قرن من الزمان .

وهكذا ابتسم المستقبل لڤان دايك ورحب الملك شارل الأول به ، وفتح له قصره وأغدق عليه الهدايا وأوقف عليه قصراً ليقيم فيه ومنحه لقب سير وأجرى له راتباً مدى الحياة . فتهافت الأشراف على مرسمه يصورهم . وها هى ذى لوحاته العظيمة تملأ متاحف لندن وغيرها من بلاد انجلترا ، ومنها صور لكثيرين من أسرة الملك شارل الأول كما صوره هو نفســـه صوراً عديدة ؛ منها شكل ( ٣١ ) بالمتحف الأهلى وقد رسمه ممتطياً صهوة جواده فى أبهة ملكية ظاهرة ، ومما يؤخذ على هذه الصورة صغر رأس الحصان بالنسبة إلى حجمه العام .

وعند ما حكم على الملك شارل الأول بالإعدام بيعت هذه الصورة

إلى حاكم باڤاريا ، وظلت هناك حتى اشتراها دوق مارلبورو وأعادها إلى انجلترا لإيداعها المتحف الأهلي بلندن .

ولڤان دايك فى متحف اللوفر بباريس لوحة أخرى لشارل الأول شكل ( ٣٢ ) ، أفرغ فيها خلاصة تجاربه ، على نمط الفن الفلمنكى بألوانه الطبيعية وتكوينه الرشيق وقدأجاد التعبير عن الارستقراطية الإنجليزية ومظهرها النبيل . ويكفى تقديراً لقيمة هذه اللوحات من الوجهة المادية أن صورة شارل الأول المحفوظة بالمتحف الأهلي اشتريت مع صورة رافايللو « عذراء أنسيدى » ، راجع شكل ( ٤٣ ) من الكتاب الأول « الفن الإيطالى » بمبلغ ٨٧٥٠٠ جنيه إنجليزى .

وله صور أخرى غيرها فى قلعة وندسور فى إحدى ضواحى لندن .

وقد صور وهو فى أنفرس عام ١٦٣٠ — ١٦٣١ صورتين من صوره المشهورة الأولى للحاكم « فيليب لى روى » شكل ( ٣٣ ) والثانية لزوجته شكل ( ٣٤ ) المحفوظتين فى متحف والاس بلندن وهما خلاصة درسه للفن الإيطالى وتظهران إلى أى مدى سمت طريقته وانصقلت ، وانسجمت ألوانه وتوافقت . ثم صورة « كورنيلياس » ڤان درجيست شكل ( ٣٥ ) بالمتحف الأهلي بلندن وهى دراسة قيمة تبين كيف كان ڤان دايك لا يقنع بتصوير المظهر ، بل يتعداه إلى العواطف والروح كما يتجلى ذلك على وجه جيست فى هذه الصورة وكما يتجلى فى صورة « أنجال بالبى » شكل ( ٣٦ ) وهى ضمن مجموعة سان لوكاس ، وقد أجاد فيها تصوير الطفولة ورقتها وبراءتها ، كما أجاد تصوير الملابس فى تلوين طبيعى وراحة واتزان .

وكان مرسمه يغص بالتلاميذ والأعوان ، وكان يترك لهم كثيراً من صوره ليتموها بعد أن يخط تصميمها ويبدأها . وكثيراً ما احتج

زبائنه على ذلك ، ولكنه كان يجيبهم قائلا : لقد مضى الوقت الذى كنت أصور فيه لأحرز الشهرة ، وهأنذا الآن أصور لأكسب خبزى . وسبق القول بأن الملك خصص له معاشاً دائماً ، ولكنه كان رغم ذلك فى حالة عسر ويشكو الضيق دائماً . ولم يكن مطمئناً إلى حاله ، فلم تطل إقامته فى انجلترا إلا لعامين ثم غادرها إلى بروكسل حيث قضى عاماً يصور بعضاً من صوره المشهورة . ثم عاد إلى انجلترا مرة أخرى ليستقر فيها ناعم البال مرة أخرى ، ولكن اضطرابه النفسى لم يفارقه . وقد قضى زمناً طويلا وجهداً كبيراً فى البحث عما يدعوه « جوهر الفيلسوف » أى الحصول على مادة الذهب بطريقة سهلة ، وهذه كانت أمنية عامة فى ذلك العصر ، فاعتلت صحته مدة اعتكافه فى معمله الكيميائى وبما قضاه من مجهود فى مرسمه ليعوض وقته الضائع . فتألم الملك لحالة فنانه المحبوب ، وخصص له فتاة من بلاطه تدبر له شئون منزله فتحسنت حاله نوعاً ما . ولما مات روبنز عام ١٦٤٠ اشتاق ڤان دايك إلى العودة إلى وطنه ، فسافر إلى أنفرس وهناك علم أن ملك فرنسا فى حاجة إلى فنان يزخرف له حيطان قصر ڤرساى ، فانتقل توا إلى باريس آملا أن يحل مكان روبنز ولكنه وصل بعد فوات الوقت إذ كان الملك قد انتخب بوسان الفنان الفرنسى ، فعاد ثانية إلى انجلترا مريضاً محسوراً ، وساءت حاله فى العام التالى واشتد به المرض فمات فى ديسمبر سنة ١٦٤١ ، ودفن فى كاتدرائية سنت بول القديمة تقديراً لما قام به من خدمات لانجلترا . وسيرى القارئ فى الكتاب المخصص للفن الإنجليزى . كيف نفذ سحر ڤان دايك إلى نفوس الفنانين الإنجليز ، وكيف أنتجت البلاد بعد موته .

وإذا أردنا حصر صوره ، لكتبنا طويلا ، فهى تزين أكثر المتاحف الهامة فى انجلترا وفى الممالك الأخرى .

---

# فرانز هـــالز

## FRANZ HALS

١٦٦٦ — ١٥٨٠

وقعت بلاد الفلمنك فى قبضة الأسپان على يد الملك فيليب والد شارل الخامس ، فكان عصراً عصيباً على البلاد قاست فى أثنائه أهوالا جساماً عقب عصر الإصلاح المعروف . وقد جاهد وليم الصامت التخلص من تلك العبودية القاســية جهاد الأبطال حتى فاز فى النهاية بأمنيته وخلص بلاده من نير الأسپان ، ولكن لم تحتفظ بهذه الحرية إلا المقاطعات الشمالية نظراً لقوتها وصولتها .

ولد هالز فى أنفرس عام ١٨٥٠ وقت أن كان فرانسز دريك يقود سفينته عائداً من الطواف حول العالم ، ولم يعرف عن أسرة هالز إلا أنهم كانوا قوماً أشــداء يقيمون فى مدينة هارلم إلى أن هاجروا منها إلى أنفرس هربا من نير الأسبان .

وانقضى عهد الطفولة بسلام وترعرع هالز شاباً بهى الطلعة بسّاماً . وكان يتردد على مرسم ڤان نورت معلم الكثير من الفنانين الناشئين . ولم تكن شهرة ڤان نورت واسعة فقد عرف بإدمانه الشراب وبكثرة شغبه ومعابثاته ، على أن ذهنــه كان يصفو فى فترات فيعمد إلى ريشته يصور بعض قطع فنية دينية ، دون أن يكف لحظة عن الضحاك أو الكف عن مجونه . وكان تلاميذه ينتهزون هذه الفترات فيلتقطون عنه أسلوبه فى استخدام الألوان وفى تكوين الصور .

ثم عاد الأسبان عام ١٥٨٥ فاستولوا على أنفرس بعد حصار طويل ، فلم يطب لتلك الأسرة المقام فيها ، فغادروها عائدين إلى هارلم ، وهناك بحث هالز عن معلم جديد فوفق إلى كارل ڤان ماندر ، وكان يختلف كثيراً عن ڤان نورت بهدوء خلقه وسعة علمه ، إذ كان مؤرخاً وشاعراً ورحالة خبر الحياة فى الممالك الأخرى . وظل هالز يدرس عليه حتى هجر أستاذه المدينة عام ١٦٠٤ ، وعندئذ انقطعت أخبار هالز مدة قيل إنه كان يدرس فى أثنائها منفرداً ، وقيل إنه التحق بالجيش ، وقيل إنه كان منصرفاً للكسل والعبث إذ لم يعثر له على صور أو أى أثر فنى آخر حتى عام ١٦١٠ عندما تزوج . وكان زواجه تعساً غير موفق دام طويلا ولم ينقذه منه إلا وفاة تلك الزوجة .

وبعد انقضاء عام واحد وفق إلى زوجة أخرى قدرته وأحبته رغم حدة طبعه ، وأخذت تعالج أمره وتخدمه بإخلاص حتى صلحت حاله وعاد إلى العمل بنشاطه المعروف .

ثم اشتـــد النضال الكنسى ومل القوم التصوير الدينى ، ورغبوا فى الحصول على صور أشخاصهم وآلهم وأصدقائهم لتكون ذكرى على مر الأيام . وكانت مدينة هارلم مقراً للأغنياء وملتقى لاجتماعاتهم وحفلاتهم فوجد فرانز وأخوه درك مجالا متسعاً للعمل المنتج ، وموضوعات كثيرة للتصوير .

وكان فرانز يندمج فى تلك الحفلات ويتمتع بها طويلا حتى إذا ما أصبح الصباح انصرف إلى لوحاته ينثر عليها درر فنه . وكثر عدد زبائنه فكان يصورهم تصويراً طبيعياً دون تزويق . وكان يسر لزوجته كرهه للدنماركيين الأغنياء المتعجرفين وزوجاتهم ذوات الرقاب المتصلبة صلفاً . وكان إذا رسمهم أكسب وجوههم ابتسامة متكلفة تنم على

غباوتهم وجمودهم ، وكانت طريقته فى التصوير طبيعية ينقل بها عن الطبيعة بأمانة ، وكان يختار لرسمه الأشخاص الذين خدموا وطنهم وخانهم الدهر فرماهم فى أحضان الحانات يعيشون بين الكاس والطاس يتحدثون عن عزهم الغابر . وكان يميل كذلك للقاء جوّابى البحار ، عند عودتهم من رحلاتهم الطويلة وينصت إلى أخبار بطولتهم ومكافحتهم الصعاب . وكانت زوجته تحب منزلها ولا تغادره ، تفضل الاعتناء بأطفالها الكثيرين على كل شىء آخر . ولما كانت مهام الحياة كثيرة فقد ساءت حالهم المالية لا سيما وأن الفريق الذى كان هالز يختاره للتصوير هو الفقير الذى لا يستطيع أن يدفع أجراً .

وكان هالز يحب سماع الموسيقى ويحب المرح ويميـــل إلى شرب الخمور المعتقة ، ولذلك كان يلجأ إلى الحارات الضيقة القديمة ، حيث توجد الحانات الصغيرة وتعدد المناظر التى يروق له رسمها لكى يشبع نفسه لهوا وتصويراً . فأخرج تلك القطع الفنية الرائعة أمثال « هيل بوبى » و « الموسيقى المرح » ثم « البوهيمية » شـــكل (٣٧) بمتحف اللوفر بباريس ، وهى التى إن لم تكن خير صوره ، إلا أنها عرض جميل لدقة حسه فى إدراك الألوان ، وبرهان ساطع على ميله الطبيعى نحو تصوير الابتسامة الجميلة . وهى أيضاً عرض باهر لمتانة لمساته بالفرشة ، وجودة تعبيره بها ، عما يشعر به وعما يرى ويحب . وهى صورة تشع حيوية ومرحاً ووصف ناطق لخلق الفتاة واستهتارها بالحياة وميلها للعبث والمجون شيمة كل بوهيمية أصيلة .

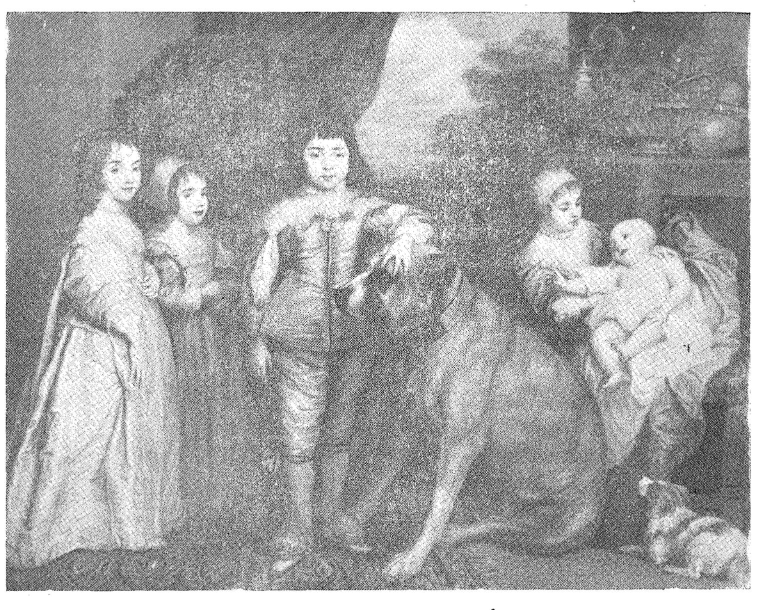
وكان يعمد من آن لآخر إلى تصوير الأغنياء فينال الكثير من هباتهم نظير عمله ، كما كان يميل إلى رسم الأطفال ميلا شديداً . ويرى الزائر فى متحف برلين صورة « مربية وطفل » شكل ( ٣٨ ) وهى لوحة ناطقة



شكل ( ٣٤ ) مدام فيليب لى روى ـ فى متحف والاس بلندن ـ تصوير ڤان دايك



شكل (٣٥) كورنيلياس ڤان درجيست ـ فى المتحف الأهلى بلندن ـ تصوير ڤان دايك



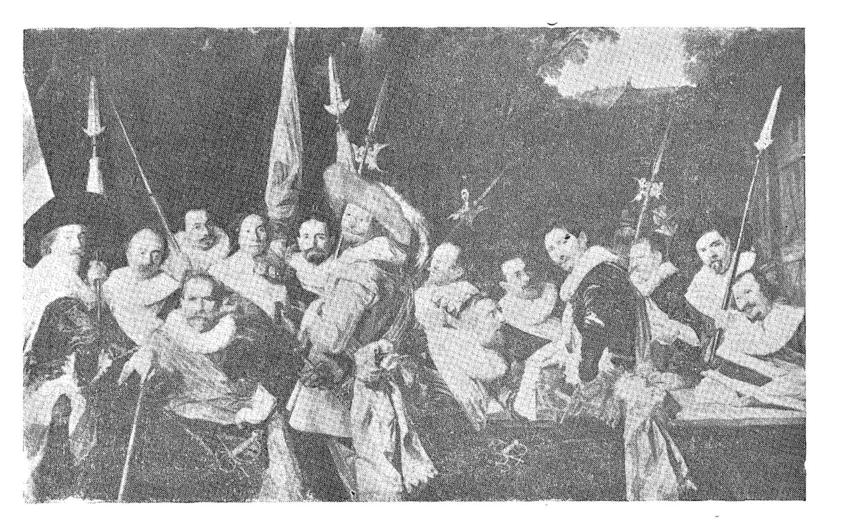
شكل ( ٣٦ ) أنجال بالى ـ من مجموعة اللورد لوكاس ـ تصوير ڤان دايك



شكل ( ٣٧ ) البوهيمية — فى متحف اللوفر بباريس — تصوير فرانز هالز



شكل (٣٨) مربية وطفل فى متحف برلين ــ تصوير فرانز هالز



شكل ( ٣٩ ) ضاربو السهام فى سنت ادريان — فى متحف هارلم — تصوير فرانز هالز



شكل (٤٠) ضاربو السهام فى سنت أدريان — فى متحف هارلم — تصوير فرانز هالز



شكل ( ٤١ ) الفارس الضاحك – فى متحف والاس بلندن – تصوير فرانز هالز

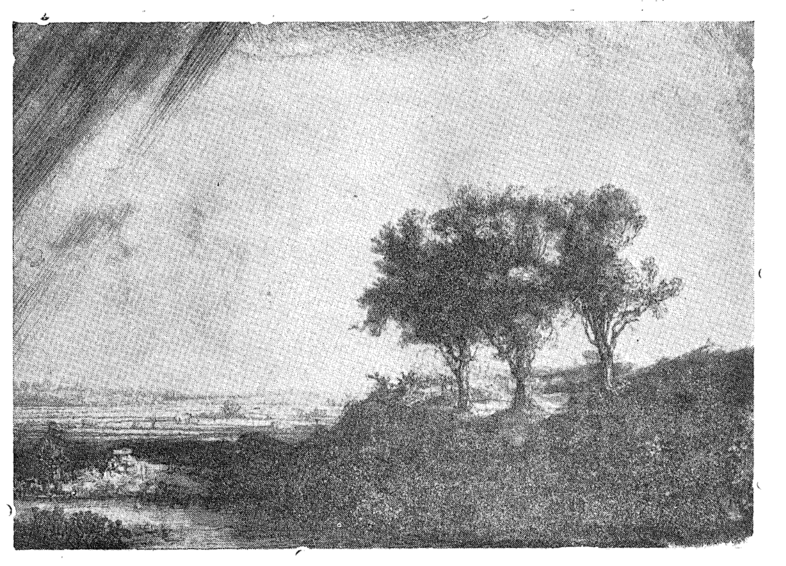
شكل (٤٢) أسرة ڤان بيرستن — في متحف اللوفر بباريس — تصوير فرانز هالز



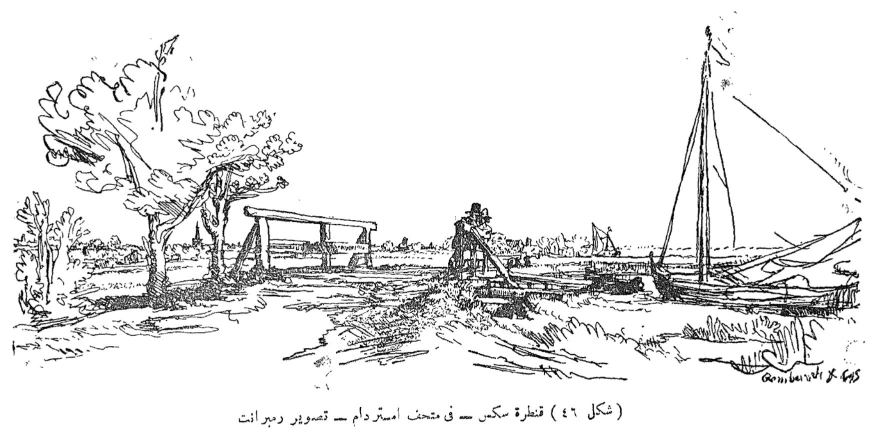
شكل ( ٤٣ ) رمبرانت وزوجته — فى متحف درسدن — تصوير رمبرانت



شكل ( ٤٤ ) الكابتن بانئج كوك وحرسه الليلى – فى متحف امستردام – تصوير رمبرانت



شكل ٤٥) الشجرات الثلاث - فى متحف امستردام - تصوير رمبرات



( شكل ٤٦ ) قنطرة سكس — فى متحف امستردام — تصوير رمبرانت



شكل ( ٤٧ ) توبت الضرير – فى متحف امستردام – تصوير رمبرانت



شكل ( ٤٨ ) هندريكه ستوفلز — فى متحف القيصر فردريك ببرلين — تصوير رمبرانت



شكل ( ٤٩ ) تيتس — فى متحف والاس بلندن — تصوير رمبرانت

بارعة تغرى فيها المربية طفلها بالتفاحة لكي يتمكن المصور من التفرغ للتصوير . وقد تجلى العطف والحنان على وجه المربيـــة وتجلى السرور على وجه الطفل وهو يداعب مربيته فيدفعها عنه برفق وحنان وقد أوشك ثغره أن يفتر بالابتسامة ، ولا شك أن فرانز قد خبر طبيعـــة الأطفال بمعاشرته لأنجاله . وقد أجاد المصـــور رسم الدنتلا والقماش المزخرف وهو يحتاج عادة إلى مهارة فائقة .

وقد كثرت ديونه ، فلما كبر أولاده عاونوا أباهم فى المرسم لكسب بعض المال برسومهم . وقد كان حبه للشراب يدعوه للإسراف . على أنه كان طيب القلب حسن العشرة مما حبب الناس فيه . وكان دائم التفاؤل كبير الآمال . وكان إذا ألح عليه الدائنون لجأ إلى خباز صديق يقترض منه بعض المال يدفعه لهم . فلما أعيتـــه الحيل عمد إلى بيع أثاث منزله واضطرت زوجته إلى بيع ملابسها الجميلة التى كان زوجها يحب أن يصورها فيها . وهكذا كان وفاء الزوجة .

وفى سنة ١٦٥٢ بلغت الأزمة أقصاها فطالب الخباز بماله مصراً على السداد ، فرهن هالز عنده الباقى من أثاث منزله ، فتأثر الخباز وأبرأه من دينـــه . وصغرت الدنيا فى نظر هالز فلجأ إلى البلدية يستجدى المعونة فتبرعوا له بإيجار مسكنه وثمن وقوده . ثم عادوا فخصوه بإعانة مالية أخرى . وكانت الشيخوخة تدب فى جسمه فضعف تصويره وكاد تلوينه يكون درجات من لون واحـــد . ولما بلغ الثمانين زادت البلدية إعانته ولكنه لم يعش طويلا بعد ذلك إذ توفى ســـنة ١٦٦٦ ودفن فى كنيسة سنت بافون فى هارلم ، ولجأت زوجتـــه إلى المستشفى فراراً من البؤس حيث ماتت منسية .

ويجب ألا ننسى أنه صـــوّر كل لوحاته الناجحة فى وقت الحروب

توبين ويلانها ، تلك الحروب التى نشط لها كل هولندى للدفاع عن وطنه وكانت بلاده وهى أصغر ممالك أوروبا تحارب خصما عنيـــداً هو أكبر دولة فى ذلك العصر وهى أسبانيا . وقد بدأت تلك الحروب قبل مولده باثنتى عشرة سنة ، وكان كلما تقدمت سنه لاح النصر تدريجياً وقد تجلى ذلك فى تصويره ، فهو عند ما بدأ بتصوير ضباط سنت جورس بهاجون الحامية سنة ١٦١٦ كان تصويره ينم عن الشك فى النصر . وعند ما عاود تصويرهم وهم بهاجون نفس الحامية سنة ١٦٣٩ كان النصر بادياً فى الصورة ، فبينما كانت تعلو وجوه أولئك الضباط معالم الحيرة فى الحالة الأولى كانت تنم أساريرهم عن الغبطة والسرور فى الحالة الثانية ، انظر شكل ( ٣٩ ) « ضاربو السهام فى سنت أدريان » بمتحف هارلم تجد ظواهر متباينة فبعضهم يبتسم فرحاً ، وبعضهم يعبس مقطباً وترى واحداً أو اثنين منتفخي الأوداج خيلاء ، وواحـــداً أو اثنين فى تفكير عميق ، ولكن تعلو وجوههم جميعاً أمارات الثقة بالنفس وروح الاطمئنان دون أى أثر للشك فى النصر النهائى . وقد ترجم هالز عن كل ذلك بمهارة وإتقان . ثم انظر شكل (٤٠) لضاربى السهام أيضاً وقد جمع فيها هذا العدد الوفير من الأشخاص فى تكوين مترابط متزن ، فى حين أنه من الممكن اعتبار كل شخص فيها وكأنه فى صـــورة مستقلة . كما أنه أجاد تصوير الأقمشة والدنتلا والحرير والقطيفة والمعادن أيما إجادة محتفظاً بخصائص كل منها وطبيعة مظهره .

وانقضى ربع قرن قبل بلوغ النصر وقبل أن تعترف إسبانيا باستقلال هولندا . وعندئذ رسم هالز سنة ١٦٢٤ ، صورة الضابط ، التى عمت شهرتها جميع بقاع العالم وعرفت باسم « الفارس الضاحك » شكل ( ٤١ ) بمتحف والاس بلندن وقد جمعت هذه الصورة بين قوة الموضوع ودقة

التصوير فى مهارة فائقة . ألا ترى أن ابتسامة هـــذا الفارس لا يمكن مقاومة أثرها ، وهو يوجه إليك نظرة غامضة قد تأخذها آنا على أنها نظرة الدعابة البريئة ، وآنا آخر على أنها نظرة النفس الطيبة السريرة تتحدث إليك فى هدوء واسترسال ؟ وبينما يطل عليك هذا الوجه الباسم المرح تكاد تقرأ فى قسماته الصرامة فى اعتزازه بنفسه واطمئنانه إلى المستقبل .

ولهالز فى اللوفر صورة كبيرة معروفة باسم « أسرة ڤان بيريستين » شكل ( ٤٢ ) وأهم ما يلفت النظر فيها الحركة وما يلازمها من ضجيج الطفولة ومرحها ، فهى تصوير بديع لاجتماع عائلى صاخب ، وقد أجاد الفنان تصوير الملابس رسماً وتلويناً . وقد وجهت إلى هذه الصورة بعض انتقادات عن تكوينها وتلوينها وأنها أقل من مستوى عمل هالز ، كما قيل عن الطفلة التى فى ركن الصورة الأيمن أنها ليست من تصوير هالز لاختلاف طريقة رسمها وتلوينها عن باقى الأفراد وربما أضافها أحد تلاميذه .

ولهالز صور عالمية قيمة أخرى كثيرة معروضـــة فى المتحف الأهلى بلندن لا يتسع المجال للتحدث عنها كلها .

وقد حول منزله فى هارلم إلى متحف ، به كثير من الصور العظيمة ، منها ما سبقت الإشارة إليه وغيرها من الصور الخالدة العظيمة .

---

# رمبرانت

## ١٦٠٦ — ١٦٦٩

## REMBRANDT

---

هو رمبرانت ڤان رجن ، النجل الخامس لرجل كان يملك طاحونة مشهورة . وكان جده عن أمه خبازاً . ولد فى مدينة ليدن وقضى أعوام طفولته على مقربة من نهرها العظيم متمتعاً بالطبيعة . وكان يأوى إلى داره ليلا يستمع لأقاصيص أمه تستمدها من الإنجيل ، وإلى أحاديث أبيه عن شئون الحياة ، حتى إذا ما أوى إلى فراشه سبح ذهنه فى أمور الدنيا والدين . وكان منزلهم يضاء بالشموع فكان يراقب ظلال الأشياء على الحائط ويتتبع مداها ثم يحاول تخطيطها بأصبعه فتحركت بذلك فى نفسه هواية الرسم .

وكان سريع البديهة ذكياً ، أراد والده إدخاله جامعة ليدن لدراسة القانون ليمتهن المحاماة ، ولكنه لما بلغ الرابعة عشرة اشتد ميله إلى التصوير واستطاب التخطيط فكان يرسم الأشخاص والحيوانات ومختلف الأشياء على هوامش الكتب وعلى كل ما تصل إليه يده .

وانقطع عن الدرس شهرا انتظم بعده فى مرسم فنان بسيط فى ليدن واستمر فيه ثلاثة أعوام أظهر فى نهايتها تفوقاً على أستاذه . ثم رحل سنة ١٦٢٥ إلى أمستردام لدراسة أوسع ، فلم يجد فى المدينة سوى اثنين غير مشهورين من الفنانين درس على أحدهما ستة أشهر وهو فى شظف من العيش .

ثم عاد إلى بلده وكان عمره إذ ذاك عشرين عاماً وأقام خمسة أعوام

فى الطاحونة يعمل منفرداً ، متخذاً من أمه وأبيه وإخوته نماذج للتصوير ثم صور نفسه . وقيل إنه استأجر مرسماً شاركه فيه صديقه چيرار دو ، ولكنه لم يقنع بما وصل إليه فازداد جداً وجهاداً وتبحر فى دراسة النور والظل حتى تمكن من أصول الفن . وكان هو وصديقه يكثران من التجوال فى أنحاء ليدن الهادئة وعلى جانبى قناتها البديعة . وأخيراً افترقا ، ففضل رمبرانت الريف واختار صديقه المدن . وفى ذلك الوقت كان هالز مقيما على بعد بضعة أميال من هارلم مجداً فى تصويره كما كان ڤيلاسكز فى أسبانيا يصور الأسرة المالكة .

ومات والده سـنة ١٦٣١ فورث أخوه الأكبر الطاحونة . وتفرقت الأسرة ولم تعد هارلم محببة لرمبرانت ، وحان له الوقت ليجرب حظه فى أفق أوسع فانتقل إلى أمستردام وكانت فى أوج مجدها يجوب بحارتها العالم مشتغلين بالتجارة ، وقد اتخذها اليهود ، وهم عباد المـال ، مقرا لهم ، فوطد رمبرانت صداقته بكثيرين منهم ، وكانت هواية القوم فى ذلك الزمان جمع مختلف الصور والرسوم وبالأخص المحفورة منها (Etching) . وانكب رمبرانت على العمل حتى اشتهر أمره ، وأخرج بعد عام من وصوله ، صورة أعجب بها الجميع ، وهى « درس التشريح للأستاذ تالب » بمتحف لاهاى . ثم راق له أن يصور لوحة تجمعه وتلاميذه ، وقد لاقت تلك الصورة تقديراً مشهوراً . ثم كثرت عليه الطلبـات وكان للأستاذ تالب فضل تقديمه إلى چان سكس ذلك الصديق الوفى الذى لازمه فى أوقات ضيقه ، وكان له عوناً كبيراً .

وجمع رمبرانت بين العمل والتسلية ، وعاش فى مرح وسرور وتعرف إلى أهل الأدب والفنون فى المدينة ، فكانوا يدعونه إلى حفلاتهم ومنها تعرف إلى فتاة جميـلة مرحة من أسرة راقية تدعى ساكسيا طلب منه

تصويرها فلكت فؤاده وتزوجها سنة ١٦٣٤ على الرغم من رفض أقاربها ؟ وكان أبوها محامياً مشهوراً وكانت أسرتها غنية وكانت لها « بائنة » كبيرة . وكان يكتسب من فنه مالا وفيرا ولكنه كان مبذراً يكثر من شراء الجواهر والأثاث لزوجته . وقد اشترى داراً كبيرة لسكناها جمع فيها تحفاً وصوراً من عمل الفنانين المشهورين اشتراها إرضاء لزوجته ، وعمل على أن يحيطها بنعيم كثير وملك كبير . واستتبت لهما السعادة والشهرة والتف حوله الكثيرون من تلاميذه ولم يكن بعد قد بلغ الثلاثين من عمره .

ورسم صورة تجمعه بزوجته ساكسيا وهى تجلس على ركبتيه ممتلئة غبطة وسعادة شكل ( ٤٣ ) بمتحف درسدن ، وقد أمسك رمبرانت بكأس الخمر يفتر ثغره بابتسامة حلوة وقد اتجه الاثنان نحوك ، وهو يبتسم هانئاً وهى تحتفظ برزانتها دون أن تخفى سعادتها ، وأمامها مائدة الشراب وفوقها طاووس جميل . وهو يلبس رداء صنع من قطيفة سوداء محلاة بالفرو له أكمام جميلة الشكل وفوق رأسه قبعة جميلة حسب الزى الذى كان سائداً وقتذاك وتتجلى عليه مظاهر الوجاهة والعز .

ثم غدر به الدهر فمات له طفلان فى مهدهما ، وماتت أمه المحبوبة فى نفس السنة . ثم مرضت زوجته واشتد بها المرض بعد أن أنجبت له ولدا . وكانت تكاليف العيش باهظة فاضطر إلى الاستدانة وكان يحاول تسوية حسابه من مال زوجته وبما كان يكتسبه فزاد همه . ثم وكل إليه يوما أن يرسم « الكابتن بانبج كوك وحرسه الليلى » شكل ( ٤٤ ) بمتحف أمستردام ، وما إن بدأ العمل فيها حتى فوجئ بموت زوجته ساكسيا سنة ١٦٤٢ — ولشد ما كانت الصدمة على نفسه فانصرف عن التصوير. ثم عاد فبدأ الجهاد من جديد واندفع بهمة فى العمل حتى أتم الصورة

المطلوبة ولكنها قوبلت بالنقد الشديد ، رغم أنها تعد اليوم من أكبر مفاخره ، فقد خيب رجاء قائد الحرس فيها كما خيب رجاء ضباطه عندما نظروا إلى الصورة فلم يجدوا فيها صورا محددة لكل منهم ؛ بل رأوا منظرا عاما لأشباح مبهمة لجماعات من الضباط يحيط بهم ظلام الليل فيخفى أشخاصهم فثاروا غاضبين . ويجب قبل أن نحكم على مكانة هذا النقد أن نضع أنفسنا موضع أولئك النقاد الذين وازنوا بين هذه الصورة وبين الصورة التى تشبهها من تصوير فرانز هالز ، والتى رسم فيها ضاربى السهام والتى أظهر فيها شخصية الضباط ، واهتم فيها بإظهار التفاصيل فى وجوههم وشبههم مما أهمله رمبرانت ، واستبد به العمل على احكام تصوير الضوء والظل والحركات ، بينما كان الكابتن بانيج كوك وأصدقاؤه يرغبون فى أن يروا أشخاصهم واضحة فى الصورة . وقد أشبع رمبرانت رغبته الفنية ولكنه أغضب الغرور الإنسانى والإعجاب الشخصى ، وهو ما لم يرغب فيه معاصروه ولم يستطيعوا فهمه . هذا هو السر فى تلك الضجة والسبب فى بدء انهيار شهرة رمبرانت كمصور أشخاص . وقد قال بولدون براون الأستاذ بجامعة أدنبره فى نقده للصورة ، إنها تمثل منظرا نهاريا لا ليليا ، لأن يد الكابتن وذراعه الممدودتين ، ترميان ظلا ناشئا عن ضوء الشمس على الرداء الأصفر الذى يلبسه الضابط الثانى ، وكذلك لأن الأوضاع النسبية وظلالها تدل على أن الشمس تسطع عالية فى السماء وقال الدكتور موتهور : إن رمبرانت كان أول فنان جرىء عبّر عن مشاعره بلغة الفن الصحيح لا باللغة التى يريدها غير الفنانين .

وأسقط فى يد رمبرانت وساء مركزه المالى . ولما كان قد حرم من معاونة ساكسيا بعـــد موتها فإنه سئم كل شىء وأهمل عماله فتضاعفت ديونه .

كان لكل هذه الهموم تأثير فى فن رمبرانت فجاءت صوره بعد ذلك مشوبة بمظاهر الحزن واليأس . على أنه كان وهو يصورها مطمئن النفس هادئها . وكان يصور بالألوان الزيتية آنا ، ويعمل فى الحفر على النحاس آنا آخر ، وقد نال فى الأخيرة حظا كبيرا . وكان يصور شخصه فى أوضاع مختلفة . وقام برسم صور كثيرة لعجوز نائمة لطفل فى مهده . وأهمل الاعتناء بمظهره وملبسه ، فخلع قبعته الجميلة واستعاض بها قلنسوة عادية ، ولبس معطفا قذرا يغطى ملابسه المهلهلة وجسمه المعتل . ثم اعتكف عن العالم فاحتل مكانه فى الأوساط الاجتماعية غيره من الفنانين . وقد حاول عبثا صديقه المخلص چان سكس السالف الذكر ، أن يبعثه من جديد ليعود سيرته الأولى . ودعاه ليقيم فى منزله الريفى ليصور فى هدوء وجو صاف . وكان يعد له النماذج البشرية اللازمة لموضوعات التصوير . وكان يختار له كبار السن من الرجال والنساء ، وكان رمبرانت يصورهم بدقة معتنيا بإظهار تجاعيدهم وغضون وجوههم الناحلة وأيديهم المرتعشة . وطابت له الإقامة وراق له هذا النوع من الرسم ولكنه أصبح صامتا يزهد فى الكلام إلا أن قلبه كان ممتلئا رقة وعطفا . وكان كالطفل يفرح حينا ويحزن سريعا .

وقد صور كل مناظره الطبيعية تقريبا ، وكل لوحاته المحفورة فى النحاس ، فى المدة الواقعة بين عامى ١٦٤٠، ١٦٥٢ ، وكانت أهمها « الشجرات الثلاث » شكل ( ٤٥ ) لمنظر بالقرب من أمستردام هبت عليه عاصفة ، وتلبدت فوقه السحب وأظلمت حوله الطبيعة غضبى ، ولا شك أنه تصوير متقن لمظهر مضطرب من مظاهر الطبيعة . وله صورة ثانية محفورة فى النحاس هى « قنطرة سكس » شكل ( ٤٦ ) وسمها بالقرب من منزل صديقه الحميم چان سكس وكانا قد خرجا معا لأكلة خلوية بجوار تلك

المنظرة ، فلما تفقدوا الطعام وجدوا أنهم نسوا بعض الضروريات ، فأرسلوا الخادم إلى المنزل ليحضرها ، وفى انتظار عودة الخادم رسم رمبرانت هذه الصورة البديعة التى دلت على سرعته العجيبة فى التصوير المتقن . كما أنه صور « توبت الضرير » شكل (٤٧) المحفورة كذلك فى النحاس ، فجاءت معجزة فنية ولم يستطع غيره تصوير فقدان البصر كما صوره هو .

وكان نجله الصغير تيتس ذو الشعر الذهبى يحب مرسم أبيه فيقضى ، فيه ساعات يمرح لاعبا غير عابئ بالألوان التى تلوث ملابسه ، وكانت مربيته الفلاحة الجميلة هندريكة ستوفلز شكل ( ٤٠ ) ببرلين ، وقد تجلت على وجهها آيات الحنو والشفقة ، تحبه وترعاه وتخص والده بعطف يشبه العبادة . وقد ضحت بكثير من هناءتها وصحتها ومالها فى سبيل خدمتهما بإخلاص .

وكان يطيب لرمبرانت كثيرا أن يصورها مع ابنه . وفى عام ١٦٥٦ أصاب رمبرانت آخر سهم من سهام القدر ، هو الإفلاس التام فباع منزله وأثاثه بثمن بخس لسداد دينه وأصبح طريدا لا مأوى له . وأخذ فى التنقل من مسكن حقير إلى أحقر منه ومع ذلك لم تفارقه المربية المخلصة التى لم تعبأ بالفقر والفاقة ، وأصبح فنه حزينا تنعكس فيه صور البؤس والفاقة دون أن تفارقه مهارته التى لم تتزعزع بفعل كل تلك الكوارث .

ولم يجد رمبرانت بدا من الاقتران بهندريكة ستوفلز مربية ابنه لفرط حبها لها ولشدة إخلاصها فى خدمتهما ، ولقد كان هذا سببا جديدا لنفور زبائنه الارستقراطيين الذين أبى عليهم كبرياؤهم أن يجلسوا أمام رجل اقترن بفتاة وضيعة الأصل تحترف الخدمة المنزلية . ولكنه لم يعبأ لذلك وخيرا فعل ، فقد انتشلته هذه الزوجة من حضيض

البؤس ونفخت فيه روحا جديدة كان لها أثرها فى فنه بعد ذلك .

ثم انقضت بضعة أعوام ، فشب ابنه تيتس فتى ممشوق القوام حسن المنظر ، وجعل يعاون زوجة أبيه فى إدارة حانوت لبيع مختلف القطع الفنية ، مما كان يقتنيه رمبرانت لزوجته الأولى للحصول على بعض المال .

ولكن ما قيمة المال لرجل مثل رمبرانت ، وهو المتلاف الذى يصرف كل ماله إن وجد ، ويعيش بدونه إن شح .

وضعف بصر الفنان من الحزن والهرم فلم يستطع الاستمرار فى الحفر فى النحاس . ولكنه ظل سعيدا لفرط اخلاص زوجته هندريكة وتفانيها من أجله ، وصادفه النجاح فى التصوير على الرغم من ذبول جسمه وضعف بصره ، وصور ابنه تيتس شكل ( ٤٩ ) بمتحف والاس ، وهى مثل جيد لفن رمبرانت فى طوره الأخير الذى يمتاز عن فنه الأول ( شكل ٤٣ ) بأن لمساته أصبحت أكثر سلاسة وقوة وتعبيرا عن ذى قبل بفضل إتقانه لبيان الظل والنور .

وتزوج تيتس من ابنة عمه وهى فتاة جميلة تدعى ماجدا ليناڤان لو . وماتت هندريكة فبكاها الاثنان بكاء حارا . وعاش رمبرانت مع ابنه وزوجة ابنه زهاء خمسة أعوام قانعا ، وعندما توفى تيتس سنة ١٦٦٨ تمت لرمبرانت رزايا القدر وأصبح وحيدا .

انصرف رمبرانت وهو فى هذا الفقر وتلك الوحدة إلى التصوير كعادته عقب كل محنة أو أزمة فأخرج صورة « عودة الابن المفقود » ليسرى عن نفسه . وكذلك صـورة « فرنسوا ڤان واسرهوڤن » شكل ( ٥٠ ) بالمتحف الأهلى بلندن وهى تصوير متقن لكبر السن وهيبته ، وتعبير موفق عن الحكمة المأثورة التى تقول : إن جمال الوجه يزول ، أما جمال الخلق فباق .

ونحن إذا درسنا الصور العديدة التى صور فيها نفسه من سن شبابه حتى شيخوخته شكل (٥١) المعروضة فى متحف اللوفر بباريس ، ما رأينا مراحل تدرجه فى فنه فحسب ، بل نكاد نلمس مقدرته الفائقة على تصوير مشاعره وعواطفه ومختلف حالاته النفسية طوال مراحل حياته متجلية فى أسارير وجهه .

ومن صوره الفائقة الشهرة « اليهودية الصغيرة » شكل (٥٢) بمتحف مدينة بتروجراد ، وهى تصوير صادق للسحنة اليهودية وتعبير بارع عن مفاتن الشباب ، ومهارة فائقة فى رسم تفاصيل الثياب والزينة . وصورة « طاحونة لانسداون » شكل (٥٣) التى باعها صاحبها االورد لانسداون منذ بضع سنين لأمريكى هاو بمبلغ مائة ألف من الجنيهات . وصورة « المسيح يحيط به المرضى وهو يستقبل الأطفال » شكل (٥٤) وهى أتقن ما حفره فى النحاس ويطلق عليها اسم (الطبعة ذات المائة الجنيه) ، وهو الثمن الذى دفع فى شرائها عند بيعها بالمزاد العلنى فى أوائل القرن التاسع عشر ، وهى تصوير متقن للعواطف التى تتجلى على وجوه الأشخاص المرسومين .

ومن صوره الخالدة (Bethsalbée) شكل (٥٥) باللوفر وهى لسيدة عارية ، استغرقت فى تفكير عميق إثر قراءتها خطابا وهى تتزين فى الحمام . ويقال إن رمبرانت كان يرمى بتصويرها إلى توضيح قصة معينة وردت فى التوراة ، إلا أن خياله انحرف نحو النزعة التحقيقية ، فصور هذا الجسم العارى فأجاد تصويره ، وكأنه يشع نوراً يضيء ما حوله ، وقد وفق فى استعمال اللون الأبيض الذهبى فى تصوير الثياب تحت يدها اليسرى ، كما نجح فى استعمال ذلك المزيج العجيب من الألوان الذهبية المستعملة فى تصوير الأنسجة الظاهرة فى الجهة اليسرى من

الصورة : ويتركز موضوع هذه القصة فى تصوير السيدة «طرقة غارقة فى التفكير ، ويغلب على الظن أنها « هندريكة ستوفلز » مربيـــة ابنه وزوجته الثانية .

وأخيراً ضعف بصره حتى كاد يخبو ضياؤه ، ومات فى يوم ٤ من أكتوبر سنة ١٦٦٩ ولم يكن يملك من حطام الدنيا غير ملابسه وأدوات التصوير ولم يكن حوله شخص يبكيه .

وكتب جرار ليرس بعد وفاة رمبرانت يقول : « إنه كان أستاذاً فى تصوير الموضوعات الوضيعة المبتذلة » وتقول الآنسة وارن ، وهى ناقدة كبيرة ، فى كتابها عن الفن الفلمنكى : « ماذا يقول تاجر أمستردام الذى عاش فى القرن السابع عشر ، إذا بعث من قبره الآن ليحضر البيع بالمزايدة ، فيرى إحدى صور رمبرانت يزاد ثمنها بآلاف الجنيهات » .

ويجب عند الموازنة بين فن هالز وفن رمبرانت ، ألا يغيب عن الذهن أن الأول عاش ومات وهو يصور وأمته فى حرب تستعر ، وأن الثانى بدأ عظمته الفنية بعد أن استتب الأمن فى البلاد ، وأن هالز عبَّر فى فنه عن بطولة هولندا ، وأن رمبرانت عبّر فى فنه عن آرائها فى الحيـــاة وعن فلسفتها وشئونها العامة .

وصـــور رمبرانت أكثر من أن تحصى وهى تزين معظم متاحف العـــالم :

---

# بقية الفنانين الهولنديين

## فى القرن السابع عشر

معروف أن الجمهورية الهولندية قامت سنة ١٦٤٨ بعد الانتصار على الأسبان . وقد سجل الفنان الهولنـــدى تربورش التوقيع على معاهدة مونستر ، تسجيلا فنياً بصورة معروضـــة الآن بالمتحف الأهلى بلندن . ولم يكن الفن فى هولندا فى يوم ما دينياً أو حكومياً بل كان فناً دنيوياً يصور الحياة اليومية المنزلية .

وكانت اللوحات تصور لا لتزيين الكنائس والمبانى العمومية ، بل ليقتنيها القوم فى منازلهم الخاصة . ولذلك فقد راج فى هولندا هذا النوع من التصوير وكثر عـــدد الفنانين فى ذلك العصر ممن لا يتسع المجال لذكرهم جميعا ولنقتصر هنا على الحديث عن أشهرهم .

# أدريان بروير

## ١٦٠٥ — ١٦٣٨

## ADRIAN BROUWER

لم يعرف مسقط رأسه بالضبط إن كان فى هولندا أو باچيكا . على أنه قضى سنى شبابه فى هارلم ، حيث درس على فرانز هالز . ثم انتقل إلى أمستردام وأنفرس يصور حيث كان له مركز اجتماعى ممتاز وفن عظيم ، بدليل أن روبنز اشترى سبع عشرة لوحة منها ، كما اشترى رمبرانت رغم فقره ثمانية أخرى . ومن ميزات فن برّوير قوة ممتازة فى الإخراج ، ودقة فى الرسم وجودة فى التلوين .

وله فى متحف والاس بلندن صورة «الفلاح النائم» شكل (٥٦) لها قيمة فنية عظيمة ، وقد أجاد فيها حركة الجسم المسترخى . وقد نقدها البعض بقولهم ان النائم يصطنع النوم وكأنه يرقب المصور من بين أهدابه .

# جيرار دو

١٦١٣ – ١٦٧٥

GERARD DOU

---

هو أحد تلاميذ رمبرانت المشهورين .. اكتسب مالا وفيرا من فنه أكثر مما اكتسب أى فنان آخر فى زمنه . وكان شديد الاحترام لأستاذه عظيم التقدير لفنه . وكانت موضوعات صوره سهلة الفهم واضحة المعنى منها « دكان بائعة الدجاج » شكل ( ٥٧ ) بالمتحف الأهلى . و « بائعة الرنجة » شكل ( ٥٨ ) من مجموعة هرميتاج و « ناسك » شكل ( ٥٩ ) بمتحف والامس بلندن ، وكلها دليل على تمكنه من فنه لا سيما عنايته الكبيرة بإظهار التفاصيل مثله فى ذلك كمثل تربورش و دى هوش و ڤرمير . وقد كان موفقاً فى الصورة الأخيرة « ناسك » فى تصوير الضوء وسقوطه على الكتاب وعلى وجه الناسك . وكذلك فى التفاتة الناسك الذى تجلت على وجهه آيات التقى وطمأنينة النفس .

ومن مخلفاته فى اللوفر لوحة ( المريضة بالاستسقاء ) شكل ( ٦٠ ) وقد أثبت فيها ما ورثه عن أستاذه رمبرانت عن نظرية « الفاتح القاتم » أى الإنتقال من الضـــوء الشديد إلى الظلام الحالك فى الصورة الواحدة مع الانسجام التام . أما العواطف البادية على وجوه الأشخاص فى تلك الصورة فتعبر أحسن تعبير عما يشعر به كل منهم .

---

# چيرار تربورش

## ١٦١٧ — ١٦٨١

## GERARD TERBOURCH

بدأ يدرس الفن فى هارلم متأثراً بفن هالز وبروير ، ولكنه لم يقصر فنه على ماكان يراه فى هولندا ، فزار انجلترا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا واسبانيا ، ودرس فى الأخيرة تصوير فيلاسكز ، الذى كان يكبره بثمان عشرة سنة فقط ، فجاء فنه أرستقراطياً مثله . وكانت صوره للمدنية الهولندية تمثل أوساطا أرقى من تلك التى كان يصورها زملاؤه الهولنديون . وقد نقلت إلينا تلك الصور مناظر تفصيلية لمنازلهم داخلها وخارجها ، ولحاناتهم ومجتمعاتهم وما إليها .

وكان تربورش أنيق الملبس يسكن داراً فخمة . وقد ظهر تأثير هذا التأنق فى تصويره . وكان يختار من السيدات أكثرهن أناقة ويصورهن وقورات رزينات ، فيجيد تناسب أعضاء أجسامهن ويبدع فى تلوينهن كما ترى فى لوحة « العازفة » شكل ( ٦١ ) ببرلين ، وقد أبدع تصوير الرداء المصنوع نصفه الأعلى من القطيفة القرمزية ونصفه الأسفل من الأطلس الأبيض ، والمصنوعة « ياقته » من الفراء بحيث يظهر نوع النسيج فى كل قطعة منها ، كما أتقن تصوير السيدة نفسها وهى تعزف موسيقاها وقد مالت برأسها قليلا إلى اليسار ميلة أجيد ضبطها ، ويستطيع الرائى تقدير جمال وجهها وسماع عزفها ومشاركتها فى الطرب . وقد أجاد تصوير السيدة الأخرى ، وهى تنصت فى ركن الحجرة وقد لفّت رأسها بالمنديل الأبيض : فبدت الصورة هادئة بليغة جملة وتفصيلا ، وكذلك « سيدة



شكل ( ٥٠ ) فرنسوا ڤان واسرهوڤن — فى المتحف الأهلى بلندن — تصوير رمبرانت



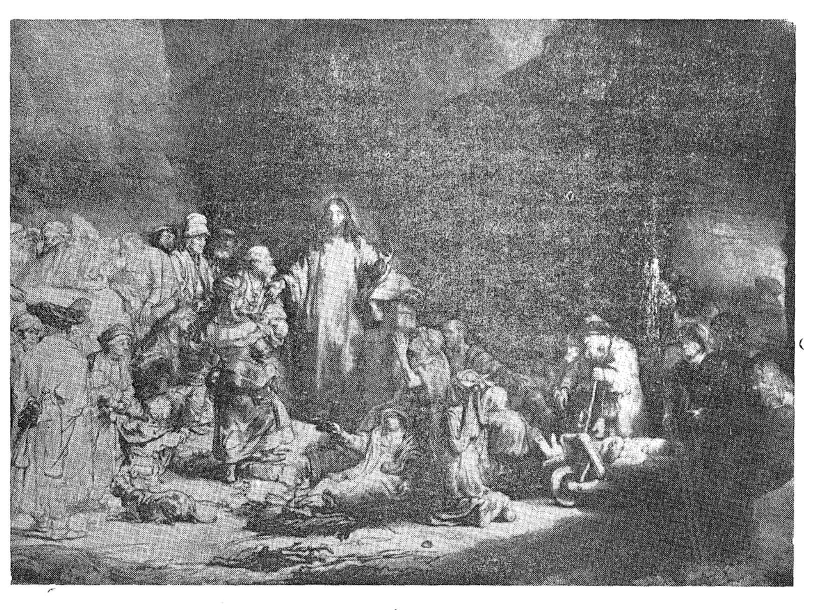
شكل ( ٥١ ) رمبرانت فى شيخوخته ــ فى متحف اللوڤر بباريس تصوير رمبرانت



شكل ( ٥٢ ) اليهودية الصغيرة — فى متحف مدينة پترو چراد — تصوير رمبرانت



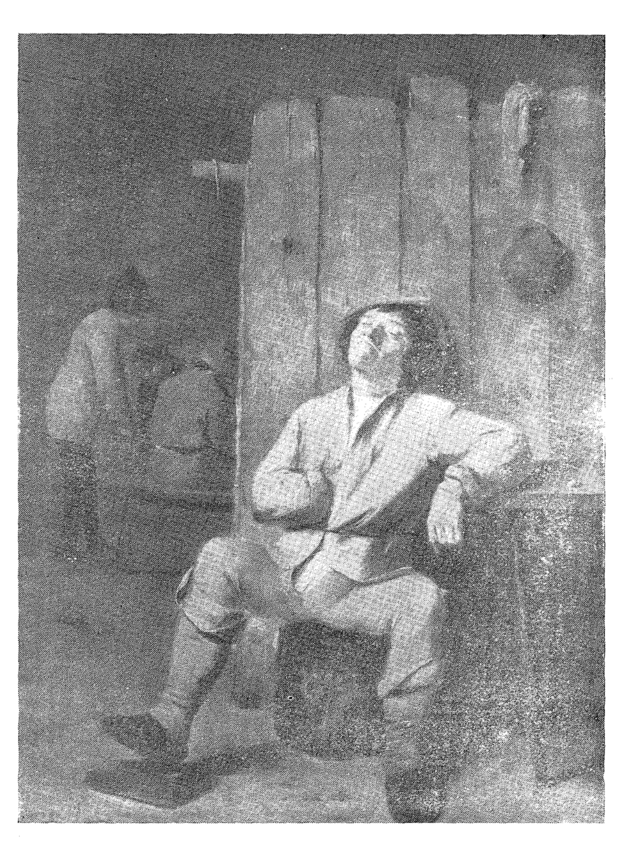
شكل (٥٣) طاحونة لانسداون — من مجموعة خاصة لأمريكى — تصوير رمبرانت



شكل ( ٥٤ ) المسيح محاط بالمرضى وهو يستقبل الأطفال    من مجموعة خاصة – تصوير رمبرانت



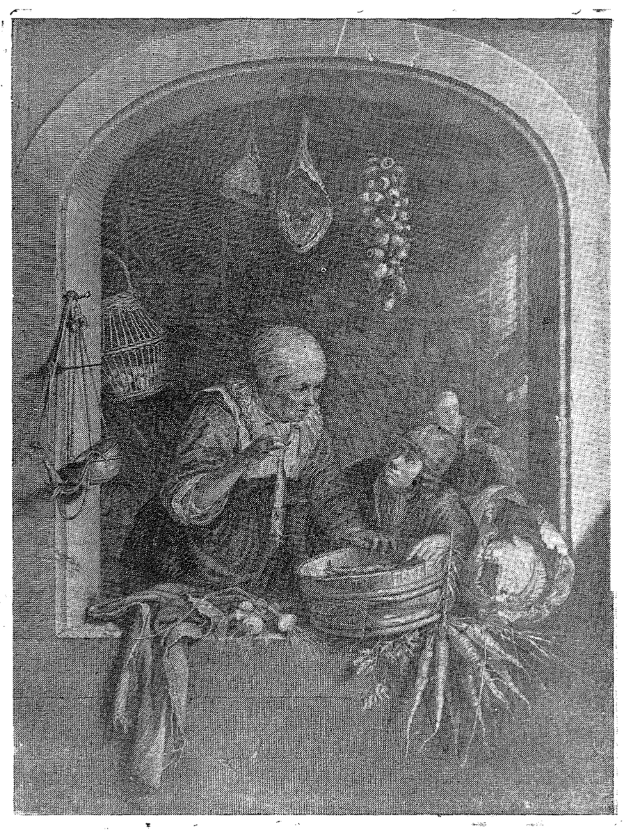
شكل (٥٥) **Bethsalbée** ــ فى متحف اللوفر بباريس ــ تصوير رمبرانت



شكل ( ٥٦ ) الفلاح النائم – فى متحف والاس بلندن – تصوير آدريان بروير



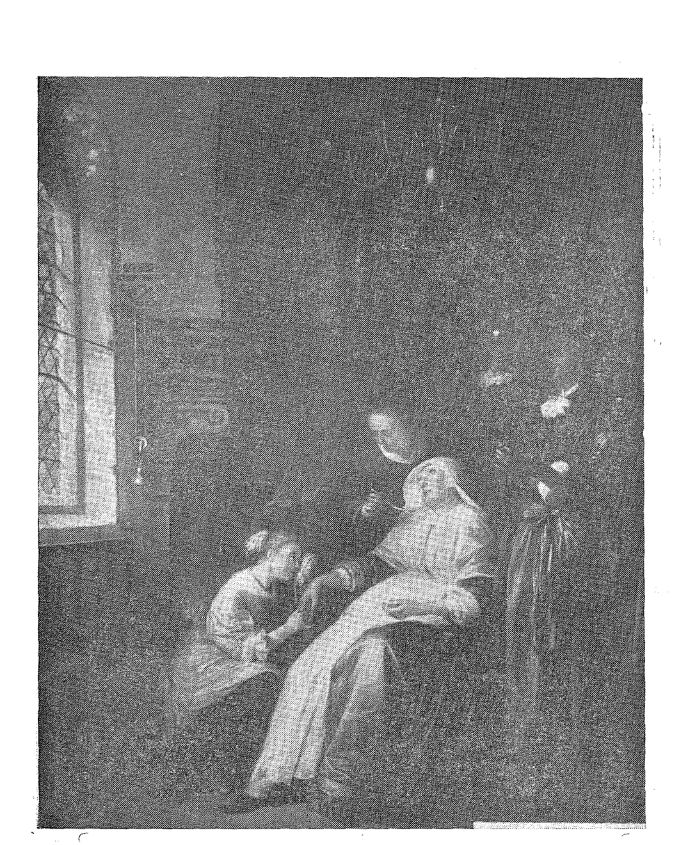
شكل ( ٥٧ ) ـ دكان بائعة الدجاج ـ فى المتحف الأهلى بلندن ـ تصوير چيرار دو



شكل ( ٥٨ ) بائعة الرنجة – من مجموعة هرميتاج – تصوير چيرار دو



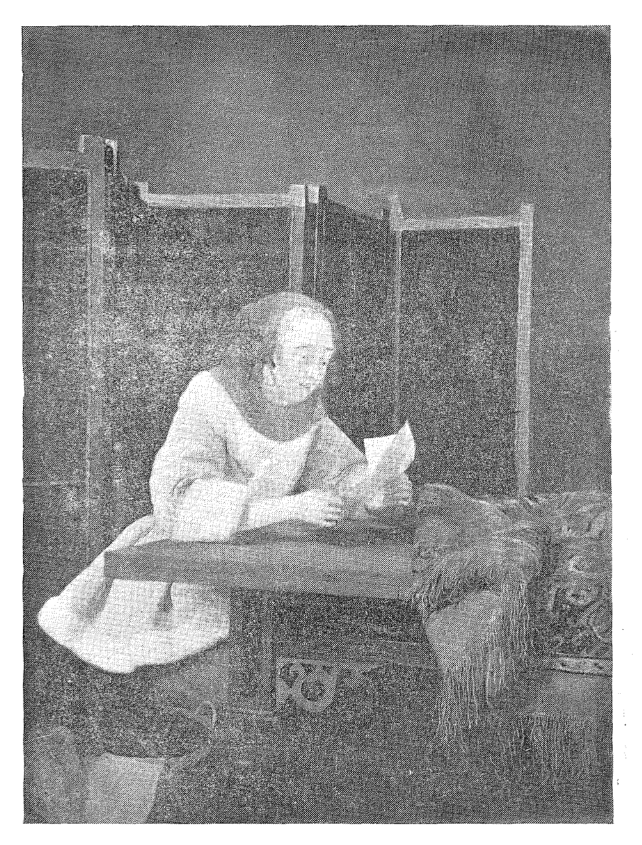
شکل ( ٥٩ ) ـ ناسك ـ فی متحف والاس بلندن ـ تصویر چیرار دو



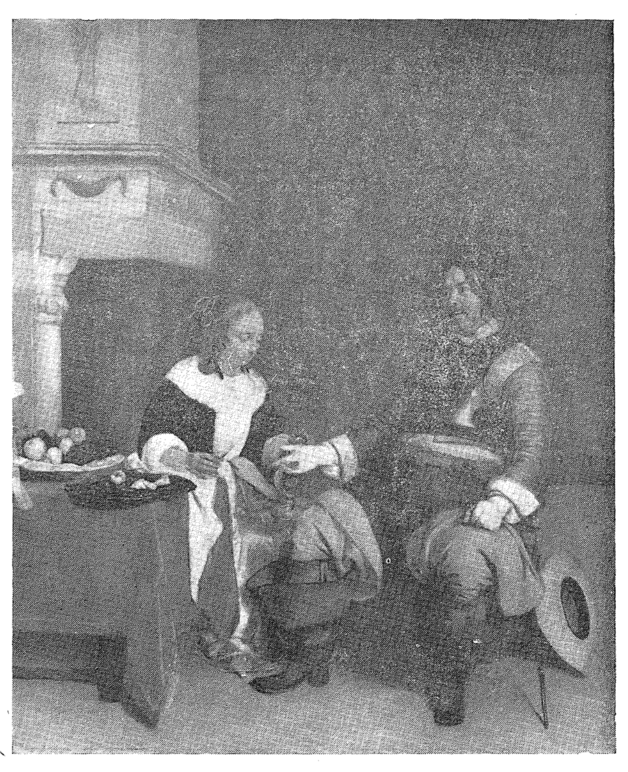
شكل ( ٦٠ ) المريضة بالاستسقاء – فى متحف اللوفر بباريس – تصوير چيرار دو



شكل ( ٦١ ) — العازفة — فى متحف برلين — تصوير تربورش



شكل ( ٦٢ ) – سيدة تقرأ خطابا – فى متحف والاس بلندن – تصوير تربورش



شكل ( ٦٣ ) ـ الجندى العاشق ـ فى متحف والاس بلندن ـ تصوير تربورش



شكل ( ٦٤ ) – درس فى العزف – فى مدينة هارلم – تصوير تربورش



شكل ( ٦٥ ) ــ وليمة التعميد ــ فى متحف اللوڤر بباريس ــ تصوير چان ستين

تقرأ خطاباً » شكل ( ٦٢ ) بمتحف والاس بلنـــدن ، وقد اندمجت فى القراءة إلى أقصى حد وكأنها تقرأ أخباراً سارة ، وهى صورة متزنة جيدة التعبير ، وقد أثبت تربورش فيها أنه مصور عواطف قدير . وصورة « الجندى العاشق » شكل ( ٦٣ ) بمتحف والاس بلندن من أبدع آياته ، إذ أن دقة التصوير متوافرة فى كل تفاصيل اللوحة ، لا سيما فى توضيح الفراء والمخمل المصنوع منهما ثوب الفتاة . والألوان مندمجة كلها فى توافق تام مع كثرتها ما بين السّمرة والحمرة والبياض والبنى و « البيج » والرمادى . ومن صوره الخالدة « درس فى العزف » شكل ( ٦٤ ) فى هارلم وفيها فتاة تغنى وأخرى تعزف ، وصبى يقدم مشروباً ، ونحن نكاد نسمع الغناء والعزف ، ذلك إلى حبكة الاتزان فى الحركة ومتانة التناسق فى تصوير الجو العام وبراعة تصوير الأقمشة والملابس .

# چان ستين

## ١٦٢٦ – ١٦٧٩

## JAN STEEN

يجدر بنا أن نتريث هنا قليلا ، لنقرر الحقيقة الواقعة ، وهى أن المصورين الهولنديين كانوا يعملون على تسجيل الحياة اليومية لعصرهم عن طريق موضوعات تصويرهم ، فأعدوا بذلك سجلا زاخراً بمظاهر مدنيتهم فى دورهم داخلها وخارجها وفى ساحاتها . وفى اجتماعاتهم والأماكن التى كانوا يختلفون إليها . وهكذا نشأ هذا النوع من الفن الهولندى ، الذى يصور مظاهر حياتهم الاجتماعية والذى أطلق عليه اسم « التصوير النوعى » مشتقاً من كلمة Genrs الفرنسية .

ومن بين هؤلاء المصورين فريق اختص بتصوير مظاهر حياة الطبقات العالية ، وفريق آخر اختص بالطبقات الوسطى ، وفريق ثالث تفرغ للطبقات الفقيرة والفلاحين . ومن هذا الفريق الأخير چان ستين ، الذى نشأ بينهم ، إذ كان أبوه يشتغل بصنع الجعة ويدير فندقاً صغيراً . وكثيراً ما كان يوفده فى رحلات خاصة بتجارة الجعة ، ومن ثم كان اختلاطه بالطبقات الدنيا . فلما تعلم التصوير كان من الطبيعى أن يصور أفرادهم وبيوتهم وأوساطهم . وقد صور أيضاً حياة الفنادق ومناظرها ، وعلى الجملة صوّر كل مايمت إلى الحياة المنزلية . وقد تفوق فى هذا المضمار على كل من متسو وجيرار دو ، لأنه كان يصور وهو مندمج بإحساساته فى المحيط الذى يصور فيه .

ومن صوره الشهيرة « عيد القديس نيقولا » فى متحف أمستردام ،

و « وليمة التعميد » شكل ( ٦٥ ) بمتحف اللوڤر . وهو كعادته فى فنه ، قد اختار لها موضوعاً من صميم الحياة ، هو هرج الاجتماع العائلى ومرجه لأسرة من عامة الشعب . وأنت توشك أن تسمع بأذنيك الضجيج والصراخ والحوار وربما اندمجت فى الصورة أكثر من ذلك ، فتنادى الشخص الواقف على السلم الخشبى لتحذره من السقوط . وهى كمعظم لوحاته ، صورة شعبية ينطبق عليها اسم « التصوير النوعى » ومن صوره الأخرى الخالدة « درس الموسيقى » شكل (٦٦) بمتحف والاس ، وأنت تشعر بالراحة عندالنظر إليها ؛ فالحركات فيها متزنة والتعبيرات على الوجوه طبيعية دالة على انصراف الفتاة لدرسها ، وتتبع المعلم لتلميذته . وقد اجيد تصوير الضوء .

---

## بيتر دى هوتش

## ١٦٢٥ – ١٦٧٧

## PETER DE HOOCH

كان أصغر من تربورش باثنتى عشرة سنة ، ولكنه كان أمهر منه فى تصوير الضوء . وربما لم يكن دى هوتش يختار من يصورهم من بين علية القوم . ولكنه كان يحاكيه فى دقة تصويرهم ، فى ضوء جيد الإخراج . وقد عالج بروير تصوير الضوء قبلهما ، ولكن دى هوتش تفوق على الاثنين فى هـــذا المضمار ، ووصل به إلى درجة الكمال . وقد كتب السير والتر آرمسترونج فى هذا المعنى يقول : « إن دى هوتش كان متأثراً بالرغبة فى القبض على ناصية ضوء الشمس والتحكم فيه » وقد ظهر ذلك فى صورة « فتاة تقرأ » ( شكل ٦٧ ) بميونخ ، وفيها منظر داخلى أجيدت إضاءته وأتقن تصويره ، وتجلت فيه قدرة الفنان على تمثيل الأبعاد ، بخلاف ما ظهر فى شكل ( ٥٥ ) لجيرار دو ، فتفاصيله جافة وغير محددة ، ويرجع الفضل فى الأولى إلى إجادة تصوير الضوء كما سبق ذكره .

وكتب السير والتر آرمسترونج مرة أخرى يقول : « إن دى هوتش كان يحب الضوء الشديد ويرغب فى الإكثار من تصويره لما كان شاباً ، فلما تقدمت به السن اقتصر على ترك ضوء الشمس يسطع فى الخارج لتنفذ أشعته خلال ستر النوافذ إلى الحجرات والطرقات » . ولوحته المسماة « فى داخل منزل هولنـــدى » شكل ( ٦٨ ) بالمتحف الأهلى بلندن من تصويره وهو شاب وقد وضح فيها الضوء القوى المتدفق من النافذة ينير الحجرة كلها بدرجة كافية ، ويلاحظ على هذه الصورة ، أن الفتاة

المرسومة إلى اليمين بالقرب من الموقد ، أضيف رسمها بعد الانتهاء من رسم الصورة بوقت طويل ، بدليل أن بلاط الحجرة المربع يظهر من خلال الجزء الأسفل من ثوبها . وقد أراد المصور بذلك تحسين تكوين الصورة حتى يكوّن الأشخاص ، مايشبه شكلا ثلاثياً قاعدته النافذة . ولم يلحظ هذه الإضافة أحد من معاصرى دى هوتش ، لأن من خصائص التلوين الزيتى أن الطبقات التحتية من الألوان لا تظهر والألوان التى فوقها لينة جديدة ، ولكنها تطفو بعد ذلك بزمن طويل . لذلك يحسن بالمصورين الحديثين أن يراعوا ذلك فى تصويرهم الزيتى ، حتى تتم لوحاتهم دفعة واحـــدة وإلا برزت أخطاؤهم فيما بعد .

ومن صوره التى بلغت حد الكمال فى تصوير الضوء أيضاً « سيدة وولد داخل منزل » شكل ( ٦٩ ) بمتحف والاس بلندن ، و « سيدة تقشر تفاحاً » شكل ( ٧٠ ) بمتحف والاس أيضاً وقد لعب الضوء فيهما دوراً كبيراً ، وهذه أكبر ميزات فن دى هوتش .

---

# ڤان ڤرمير

## ١٦٣٢ — ١٦٧٥

## JAN VERMEER OF DELFT

كان كارل فابريتياس ١٦١٤ — ١٦٥٤ حلقة الاتصال بين عهدى ومبرانت وڤرمير . وفى عام ١٦٤١ كان كارل وأخوه بارنت يعملان فى مرسم رمبرانت لما كان فى أوج شهرته يلتف حوله التلاميذ بالمئات . وبعد أن فقد رمبرانت زوجته ساكميا ، سافر كارل إلى أمستردام حيث تزوج وعاش سعيداً يشتغل فى التصوير ، فانضم فرمير إلى مرسمه وكان لا يزال صبياً . وفى ١٢ أكتوبر سنة ١٦٥٤ انفجر فى أمستردام مخزن بارود ، أدى بحياة كثيرين من بينهم كارل فابريتياس . أما ڤرمير فنجا وكان فى الثالثة والعشرين من عمره . وعلى الرغم من أنه كان نجب الطلاب جميعاً وأتقنهم عملا إلا أنه ظل منسياً ، حتى ان بريكن المؤرخ المشهور لم يشر إليه بحرف واحد فى كتابه الذى أخرجه بعد وفاة ڤرمير بأربعين سنة فقط . وهكذا ظل ڤرمير منسياً طوال قرنين كاملين ، كانت تباع صوره أثناءهما منسوبة إلى دى هوتش وتربورش ومتسو ورمبرانت . وفى أواسط القرن التاسع عشر بين سنتى ١٨٥٨ ، ١٨٦٠ تمكن الباحث الفرنسى تورى أن يعثر فى سجلات هولندا ودفاترها على سيرة ڤرمير وأن يكشف عن فنه ليتخذ مكانته فى صف المصورين الأقدمين المشهورين .

ولد ڤرمير فى دلفت سنة ١٦٣٢ ولم يعثر ثورى المؤرخ على كثير من تفاصيل تاريخ حياته اللهم إلا نبأ زواجه وهو فى العشرين من عمره وأنه أصبح بعد عام واحد عضواً فى اتحاد المصورين بدلفت ، وأنه لم يتتلمذ

على أحد غير الفنان فابريتياس السابق ذكره ، وأنه عكف بعد موته على الدرس بنفسه ، وكان يشترى اللوحات المشهورة كلما سمحت موارده ، حتى تكونت عنده مجموعة طيبة منها . وقد كان الفنانون الهولنديون يميلون فى ذلك الوقت إلى تصوير مناظر الحياة اليومية ، إلا رمبرانت فقد كان يصور مآسى الحياة وفلسفتها . ولكن ڤرمير لم ينقل عن أحد منهم موضوعاته أو أسلوبه فصور قصصاً من الإنجيل ومن أساطير اليونان الأقدمين ، كما صور مناظر المدينة بشوارعها وحركتها ، وكما صور مرسمه ومنزله وأقاربه بطريقة هادئة قويمة . وكانت زوجته تجلس أمامه ساعات طوالا ، ليرسمها وهى صابرة راضية ، فأجاد دراسة الضوء المتسلط على وجهها الهادئ الرزين ، كما صورها فى مواقف مختلفة وهى تقرأ أو تعزف الموسيقى أو تؤدى أعمالها المنزلية : وكما صورها وهى تلبس الملابس العادية أو وهى ترفل فى الدمقس والحرير . وقد رزق منها ثمانية أطفال إلا أنه لم يرسمهم إلا مرة واحدة .

وعاش ڤرمير إحدى وعشرين سنة بعد وفاة كارل فابريتياس ، ولكنه لم ينتج خلالها إلا ستا وثلاثين صورة . وقد نسبت هذه القلة إلى كسله مرة ، وإلى اتكاله على ثراء زوجته مرة أخرى ، كما نسبت إلى تعلقه بدراسة الموسيقى وانقطاعه إليها . ولكن الأرجح أن السبب هو أن عدداً كبيراً من صوره كان مشحوناً فى باخرة مسافرة إلى روسيا فغرقت فى البحر . وهو لم يترك لزوجته عند وفاته سنة ١٦٧٥ سوى ست وعشرين صورة ، وهى لو عرضت للبيع فى عصرنا الحاضر ما قل ثمنها عن ربع مليون من الجنيهات . على أن المعروف أن مكانة المصور وتمكنه من فنه لا تقاس بالكم ، ولكنها تقدر بالنوع . وقد كان مواطنوه يجلونه فانتخبوه مرتين لرياسة اتحاد المصورين فى سنة ١٦٦٢ وفى سنة ١٦٧٠ .

وقد صور نفسه مرة فى مرسمه ، ولكنه لم يظهر فيها إلا ظهره فقط . وكان يميل للبساطة ويفضل الألوان الشديدة وخصوصاً الأزرق والأصفر الليمونى ، وكان يحب تصوير الجواهر واللآلئ والأقراط . وكان مغرماً بتصوير الضوء . وهو يعدُّ من أكبر الفنانين العالميين الذين أجادوا تصويره ، ولو ان بعض النقاد يقول إنه كان يفوته أن يقوى عمق الظل حتى يظهر الضوء على أشده ، ولكن أحسن رد على هذا النقد أن صوره لا تزال حتى الآن تسطع ضوءاً ، وهو يفوق دى هوتش فى هذا المضمار .

وقد كتب السير وليم أوربان يقول : إنه ليس من السهل أن تدرك مقدار دقة ڤرمير ومهارته فهو كالضوء يسهل إدراكه ويصعب وصفه . وقد تمكن من تصوير الضوء كأحسن ماصوره دى هوتش ، بل ربما فاقه فيه دقة وجودة تعبير ، وهو بلا شك من أمهر من أجادوا استعمال الألوان فى العالم . كما فاق غيره فى موضوعات عديدة . وإن صورته « رأس فتاة صغيرة » شكل ( ٧١ ) فى لاهاى من أكثر الصور شهرة . وليست تلك الفتاة بارعة الجمال ولكن فى وجهها جاذبية أخاذة ، وقد أبدع ڤرمير فى إظهار مفاتنها وروعة شبابها باستعماله اللونين المحببين إلى نفسه وهما الأزرق والليمونى .

على أن صورته « منظر فى دلفت » شكل ( ٧٢ ) فى لاهاى من أشهر الصور التى تمثل منظراً طبيعياً وتعد أجمل صورة لتصوير المدينة ، وقد أجاد فيها تصوير الضوء والجو مع بهاء الألوان .

و« عقد اللؤلؤ » شكل ( ٧٣ ) ببرلين أكسبته لقب « المصـــور الكامل » الذى أطلقه عليه المستر لوكاس فى كتابه ، ونرى فيها سيدة تتأمل عقدها فى المرآة ، وقد نجح المصور بدقة معالجته تصوير الضـــوء وسقوطه بالقدر الكافى على كل شيء فى الحجرة . و « صانعة الدنتلا »

شكل ( ٧٤ ) باللوفر ذات مكانة خاصة فى الأوساط الفنية ، وهى فتاة أنيقة منصرفة بشغف نحو عملها الدقيق ، ويكاد الناظر إليها أن يرى حركة أناملها وهى تؤدى عملها . ويؤخذ على ڤرمير شـــدة رغبته فى استعمال الدرجات الباهتة من الألوان الزرقاء والرمادية والصفراء الليمونية ، تلك الألوان التى تعد من أكبر لوازمه فى فنه . و « الفتاة العازفة » شكل ( ٧٥ ) فى المتحف الأهلى بلندن صورة مجيدة لعب الضوء فيها أكبر دور وتوافق فيها لوناه المحبوبان وهما الأزرق والليمونى . أما تلك الابتسامة الخفيفة والنظرات السابحة فى تيار الموسيقى ، فشعور ينقله إلينا فن ڤرمير الرائع .

---

# جابريل متسو

١٦٣٠ – ١٦٦٧

METSU

---

تأثر بفن فرمير حتى كاد يبلغ درجته ، ولكنه امتاز عنــه بجودة الترتيب الزخرفى ، ودقة مطابقة تصويره للطبيعة ولو أنه لم يصل إلى درجته فى تصوير الضوء ، كما ترى فى « عجوز تبيع سمكا » شكل ( ٧٦ ) بمتحف والاس بلندن ، أما لوحته المسماة « ضابط يزور فتاة » شكل ( ٧٧ ) باللوفر ، فهى عرض جيد للراحة فى التصوير ، لأن الحركات وانحناءات الرءوس والعواطف البادية على الوجوه ، كلها جيــدة التصوير ظاهرة المعانى بارعة فى التعبير .

---

# نيقولا ميس

## ١٦٣٢ — ١٦٩٣

## MEAS

هو من تلاميذ رمبرانت إلا أنه أقل مهارة من متسو . وكان معروفاً بأنه مصور أشخاص ، واشتهر أخيراً بأنه مدون حوادث . وصورته « الخادم الكسول » شكل ( ٧٨ ) بالمتحف الأهلي بلندن مثال لفنه وبساطته فى اختيار الموضوعات ، وتتجلى فى هذه الصورة قوة ملاحظته ، والمدى الذى استفاده من فن رمبرانت وطريقته فى تصوير الضوء . ويتضح من رسمه للقطة وهى تسرق الطائر المذبوح ، ثم للأوانى المنثورة على أرض المطبخ ، أنه كان أقل من جبرار دو فى القدرة على الرسم ، وأقل من دى هوتش وفرمير فى تصوير الضوء . وقد كانت موضوعات تصويره فى سنى شبابه بين سنتى ١٦٥٥ ، ١٦٦٥ على هذا النحو ، فلما تقدمت به السن اشتغل بتصوير الأشخاص .

# آرت ڤان در نير

## ١٦٠٣ — ١٦٧٧

## AART VAN DER NEER

علم القارئ كيف نبغ المصور الهولندى فى تصوير الحياة المنزلية تصويراً متقناً منوعاً ؛ وها هو ذا فريق آخر من المصورين الهولنديين اختص بتصوير المناظر الطبيعية ؛ وقد كان المصور نير فاصلا بين الفريقين ، ولد نير قبل مولد رمبرانت بثلاثة أعوام ، وكان من أوائل أبطال تصوير المناظر الطبيعية ، على أن صوره لم تخل من الأشخاص إيضاحاً لبعض مظاهر الحياة الهولندية ، مثال ذلك لوحة « الزحلقة على الثلج » شكل ( ٧٩ ) بمتحف والاس بلندن فهى من أبدع مناظر الشتاء كما قال الدكيور يود وهو من كبار النقاد الفنيين ، ولكنها ، فوق ذلك عرض بديع لناحية من مباهج الحياة فى موسم الثلوج بهولندا فى القرن السابع عشر .

وله فى متحف والاس صورتان متشابهتان الأولى « منظر نهرى » ، والثانية « قناة » شكل (٨٠) ، وكلتاهما تصوير بارع متقن للطبيعة الجميلة ، فيها سحب ملبدة وأشجار باسقة ومياه جارية انعكست فيها الصور ، وكان لتصـــوير الأشخاص فيهما أثر كبير فى حيوية الصورة ومقدار ما تنقله إلينا من معان ؛

ولما تقدمت به السن انصرف عن التصوير إلى إدارة فندق ، والاتجار فى الخمور ، فتكبد خسارة مادية ألجأته إلى العودة إلى التصوير لمحاولة

الكسب السريع فانحط أسلوبه . أما لوحاته القيمة فهى التى صورها قبل عام ١٦٦٥ عندما كان يصور لإشباع هوايته الفنية ، قبل أن يتخذ التصوير مورده الوحيـــد لسد نفقات معيشته وتعويض خسارته فى التجارة .

وكان نير من أول المصورين الذين نجحوا فى تصوير المناظر الليلية . وكان رسمه للمناظر القمرية موضع التقدير ، ولكن كانت أحسن لوحاته هى مناظر الشتاء فى ضوء النهار .

# بول بوتر

١٦٢٥ — ١٦٥٤

PAUL POTTER

---

كانت الزراعة عماداً كبيراً للإنتاج القومى فى هولندا . ولم يغفل المصورون الهولنديون هذه الناحية فصوروا كثيراً من أوجه النشاط الزراعى . وكان بوتر من أمهر من اختصوا بتصوير الماشية ، ولو انه مات وهو فى التاسعة عشرة من سنه . وله فى لاهاى صورة « العجل الكبير » ، وفى متحف والاس بلندن صورة « اللبانة » شكل ( ٨١ ) ، وهما من أقدم صور الماشية فى العالم ولا تزالان حتى الآن موضع إعجاب الزائرين كما كانت فى القرن السابع عشر .

وللدكتور مذر الناقد الفنى الشهير ، كلمة نقد لاذعة عن الماشية التى صورها بوتر إذ يقول : « إنها هولندية لحماً ودماً لأنها خملة لا تعرف الجهاد ، ولأنها لا ترى إلا وهى إما تمضغ وتجتر ببلادة ، أو ترقد فى سبات عميق » وهو وصف صادق للثيران ولكنه هجو موجه للشعب الهولندى النشيط بغير حق .

---

# ألبرت كويب

## ١٦٢٠ – ١٦٩١

## CUYP

---

انصرف كذلك إلى تصوير الماشية فلم تخل له صورة منها . ولم يكن يقصد بتصويرها وما حولها من أراض ومراع واتساعات ، إلا ليتوصل إلى تصوير قبة السماء واتساع الأفق فى محيط مناسب ، كما جاء فى « منظر نهرى » شكل ( ٨٢ ) بالمتحف الأهلى بلندن ، إذ أن الماشية المرسومة تكاد تكون بقعاً قاتمة مكنته بالمقارنة والتباين من تصوير قبة السماء وضوئها واتساعها ، ومن توضيح الأفق ومدى امتداده . أما لوحته الأخرى المسماة « البقر والأشخاص » شكل ( ٨٣ ) بالمتحف الأهلى بلندن فلا تقل عن سابقتها شهرة . ومن صوره الأخرى القيمة « الطريق » شكل ( ٨٤ ) بمتحف والاس بلندن وهى تشبه إلى حد كبير صورة الطريق من رسم هوبيما شكل ( ٨٨ ) صحيفة ٨١ ولكنها تفوقها فى تصوير المسافات وبعد الأفق .

---

# چاكوب ڤان رويسدايل

## ١٦٢٨ – ١٦٨٢

## RUISDAEL

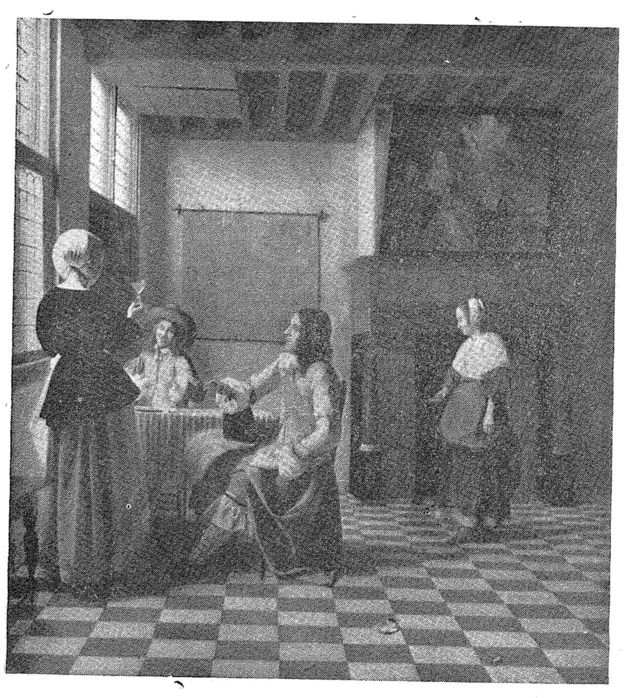
هو شخصية فذة قوية برزت بين الفنانين الهولنديين ، وعرف عنه أنه انقطع إلى الطبيعة وقضى شبابه وهو يصور مناظرها الهادئة فيختار من الأماكن ما يجده ملائماً لخياله . وقد كان مهيباً جاد المظهر حتى أن كل من رآه فى شبابه يظنه كهلا . ومن لوحاته الخالدة « ساحل شيفننجن » Schleveningen شكل (٨٥) بالمتحف الأهلى بلندن فهى منظر رائع زادت بهاءه حركة السحب وتلاطم الأمواج التى تبدو وكأنها تتحرك ، كما أن لوحته المسماة « الطاحونة » شكل (٨٦) المعروضة فى أمستردام ، تشعر بالهدوء الذى يسبق العاصفة التى تنذر بها السماء . كما أنه صور « العاصفة » شكل (٨٧) المعروضة فى اللوفر فأبدع تصويرها ، فإن البحر وتلاطم أمواجه والسماء وهى مكفهرة متآلفة مع موج البحر فى صراع الطبيعة للإنسان ، تشهد بمدى نجاح المصور فى عمله . وكان رويسدايل ينوع الموضوعات التى يختارها للتصوير ، إلا أنه كان يميل إلى تصوير الشلالات ومنابع المياه والصخور الضخمة ، فيخرجها أحسن إخراج وفضلا عن ذلك النجاح الكبير فإنه لم يكسب من فنه مالا كثيراً



شكل ( ٦٦ ) درس الموسيقى – في متحف والاس بلندن – تصوير چان ميتين



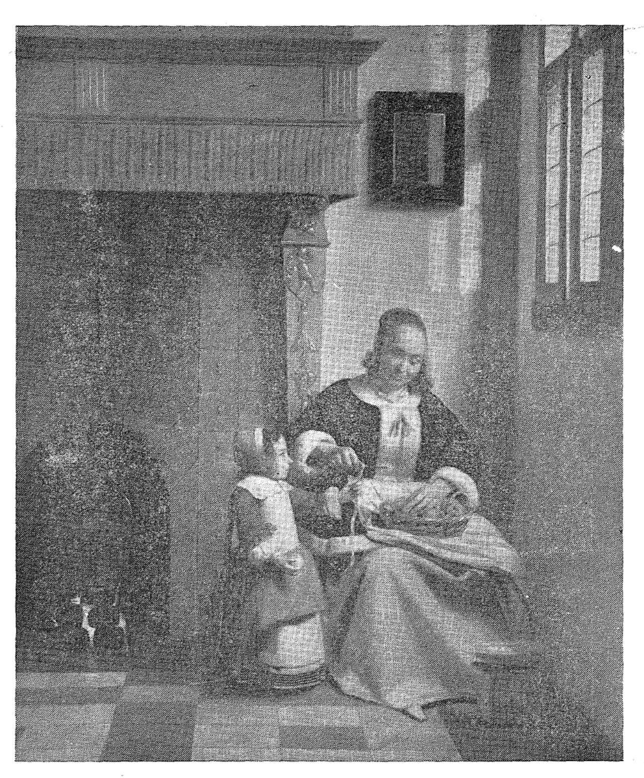
شكل ( ٦٧ ) ــ فتاة تقرأ ــ فى متحف ميونخ ــ تصوير پيتر دى هوتش



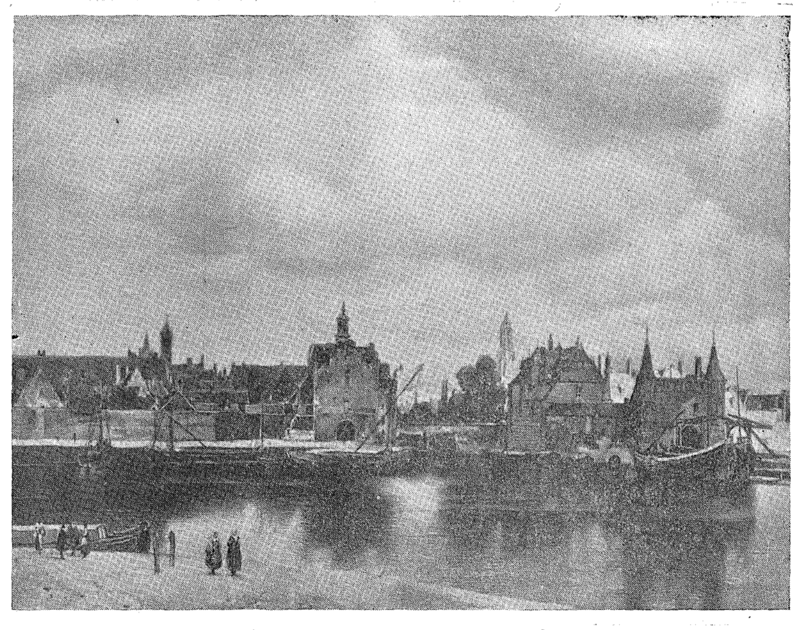
شكل ( ٦٨ ) – فى داخل منزل هولندى ـ فى المتحف الأهلى بلندن – تصوير پيتر دى هوتش



شكل ( ٦٩ ) ـ سيدة وولد داخل منزل ـ فى متحف والاس بلندن - تصوير پيتر دى هوخ



شكل ( ٧٠ ) ـ سيدة تقشر تفاحا ـ فى متحف والاس بلندن ـ تصوير پيتر دى هوتش



شكل (٧٢) منظر فى دلفت – فى متحف لاهاى – تصوير ڤرمير



شكل ( ٧١ ) أرس فتاة — فى متحف لاهاى — تصوير ڤرمير



شكل ( ٧٣ ) – عقد اللؤلؤ – فى متحف برلين – تصوير ڤرمير



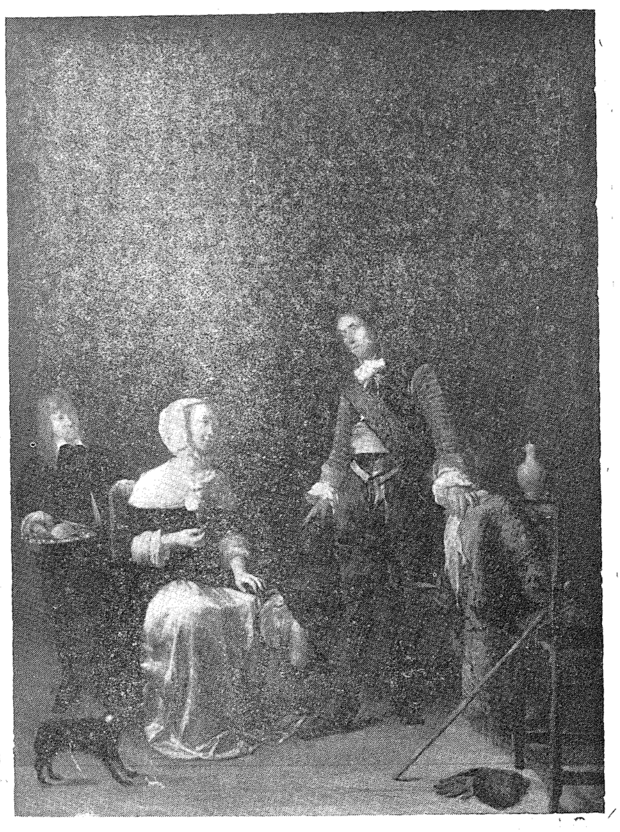
شكل ( ٧٤ ) – صانعة الدنتلا – فى متحف اللوڤر بباريس – تصوير ڤرمير



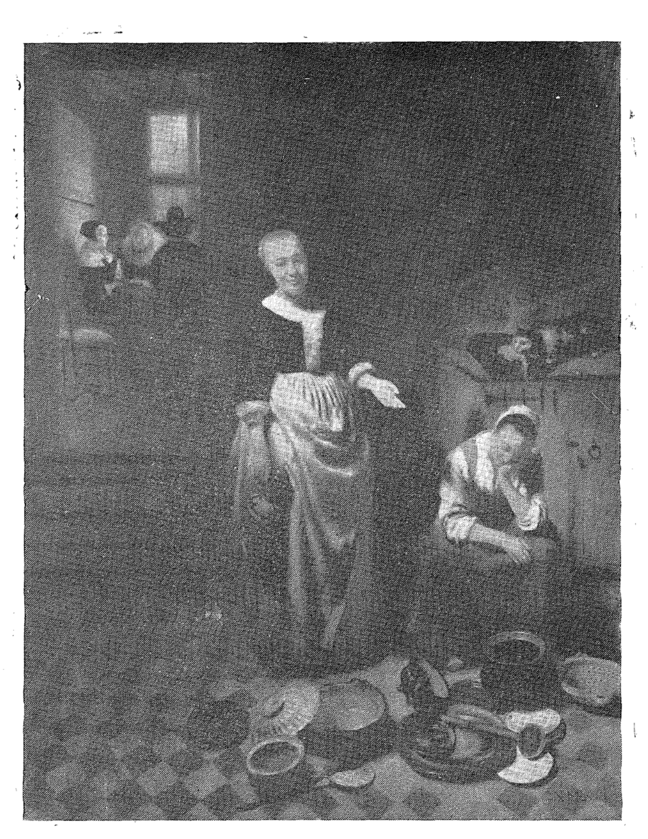
شكل ( ٧٥ ) ـ الفتاة العازفة ـ فى المتحف الأهلى بلندن ـ تصوير ڤرمير



شكل ( ٧٦ ) عجوز تبيع سمكا فى متحف والاس بلندن ــ تصوير متسو



شكل ( ٧٧ ) ـ ضابط يزور فتاة ـ فى متحف اللوفر بباريس ـ تصوير متسو



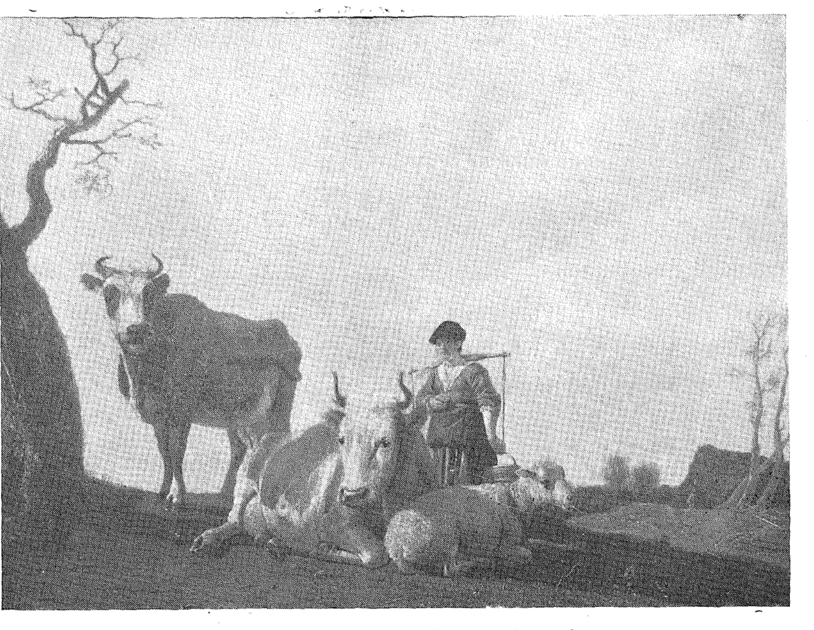
شكل ( ٧٨ ) — الخادم الكسول ــ فى المتحف الأهلى بلندن ــ تصوير نيقولاميس



شكل ( ٧٩ ) – الزحلقة على الثلج – فى متحف والاس بلندن – تصوير ڤان در نير



شكل ( ٨٠ ) – قناة – فى متحف والاس بلندن – تصوير ڤان در نير



شكل ( ٨١ ) – اللبانة – فى متحف والاس بلندن – تصوير پول پوتر

# منيدرت هوبيما

١٦٣٨ – ١٧٠٩

**HOBBEMA**

هو تلميذ رويسدايل وصديقه . ولكنهما يختلفان فى الأسلوب ، فبينا ينصرف رويسدايل إلى الطبيعة ، ويتخذها كعبته : ينظر إليها هوبيما نظرة عادية مألوفة . وكان هوبيما يصور الموضوع الواحد عدة مرات ، إلى أن يقنع نفسه بأنه أرضى الطبيعة ونقل عنها بأمانه تامة ، دون أن يحاكى فنانا آخر أو ينقل عنه . وكان يصور بإخلاص وتواضع فيخرج فنا ينطق بالشعور والغبطة ، ويشكر الله تعالى على نعمائه . وربما كانت صورة « الطريق » شكل (٨٨) المعروضة فى المتحف الأهلى بلندن أحب المناظر الطبيعية للنفوس ، فقد كان لها ولبعض صور أخرى تشابهها تأثير كبير فى الفن البريطانى لتصوير المناظر الطبيعية ، وعلى أساسها نشأت مدرسة نورتش التى تخرج فيها كل من جينسبرو وكروم وغيرهما من أساطين الفن البريطانى .

ومن الغريب ، وهذه حال فن هوبيما العظيم ، أن يضن عليه الزمن بوسائل العيش الرغد فيضطره إلى أن يسعى وهو فى الثلاثين من سنه إلى البحث عن عمل غير التصوير يتكسب منه ، فالتحق بوظيفة صغيرة فى جمرك الخمور ، وانقطع عن تجارة الصور ، فكان لا يتمكن من التصوير إلا أوقات فراغه ، والمعروف أنه لم يصور لوحته العظيمة « الطريق » ، إلا بعد بضع سنوات من التحاقه بتلك الوظيفة ، وكان قد تحرر من تحكم طالبى الصور فى فنه ، وأصبح حرا طليقا ، يصور ليشبع رغبته الفنية ، منصرفا إلى الطبيعة رائده الأول .

وقد كان فى هولندا فى القرن السابع عشر عدد وفير جدا من المصورين المنتجين ، ولكن لم يفز منهم بالثراء إلا من أرضى إعجاب العامة بتصوير الموضــوعات المألوفة ذات التفاصيل الصــغيرة ، كالأوانى والحشرات والأسماك والفواكه والزهور — مما لا يحتاج إلى خيال واسع أو مجهود خاص مثل چيرار دو وميس وأمثالها . أما رمبرانت وفرانز هالز وڤرمير ورويسدايل الذين وجهوا عنايتهم إلى صميم الفن ، وأنتجوا اللوحات العظيمة للموضوعات العميقة ، فقد ركدت صورهم فى عصرهم إلى أن أتيح لها من قــدرها فيما بعد فبلغت أثمانها آلاف الجنيهات . إذ أنه من الميسور لأى فرد أن يفهم صورة لقط يسرق سمكا ، أما تقدير قيمة الضوء وجميل لؤلؤه وهو يخترق المنافذ ليكسو الداخــل بفيض بهائه ونوره ، فيفتقر إلى خيال شعرى لا يتوافر إلا للمثقفين .

---

# ديلم ڤان دى فيلد

## ١٦٣٣ — ١٧٠٧

## VAN DE VELDE

أغرم فريق من مصورى القرن السابع عشر فى هولندا بتصوير المناظر البحرية ، وكانت هولندا فى ذلك العصر مملكة بحرية هامة شأنها شأن انجلترا . واشتهر دى فيلد من أهالى أمستردام بهذا النحو من التصوير ، وقيل إنه كان لا يجيد التصوير إلا إذا كان البحر هادئاً ، ولكن هذا القول مردود بدليل أن لوحته المسماة « نوء » شكل ( ٨٩ ) فى المتحف الأهلى بلندن ، يشتد فيها الموج ويتلاطم بشدة تكاد تودى باثنين من قوارب الصيد فتغرقهما فى اليم .

وكان والده مصوراً تخصص فى تصوير المناظر البحرية . وقد سافر الاثنان إلى انجلترا فى سنة ١٦٧٧ فالتحق الابن ببلاط الملك شارل الثانى حيث صور لوحات بحرية عظيمة لاتزال حتى الآن محفوظة فى متاحف انجلترا وقد اتخذها ترنر وغيره من مصورى البحار من الإنجليز مدرسة لهم . وظل ڤيلد وافر الإنتاج حتى وافتـــه المنية ، فدفن فى جرينتش سنة ١٧٠٧ .

ثم بدأ الفن الهولندى يركد بعد هذه النهضة العظيمة فى التصوير التى دامت طوال القرن السابع عشر ، فما أن أهل القرن الثامن عشر حتى هبّت ممالك أخرى لترتقى ســـلم الفنون فى حين ظلت هولندا منصرفة نحو الفن الركيك . وهكذا فإن للفن كما لغيره فى كل زمان ، دولة ورجال .

# رويلفز – چوزيف إسرائيلز – موف مزداج – بلومرز – الإخوة مارز

ومر قرن تقريباً بعد وفاة هوبما ووليام ڤان دى ڤيلد ، قبل أن يظهر فى هولنـدا فنان نال شهرة أوروبية عامة . وكانت المدرسة الهولندية فى أثناء القرن السابع عشر قد بلغت قمة الشهرة كما رأينا ، ولكنها عادت فانحطت فى القرن الثامن عشر إلى البسيط من الفنون ، إذ انصرف الفنانون إلى رسم الفواكه والأزهار وما شابهها ، فصوروها بتفاصيلها واعتنوا برسم الأجسام الصغيرة كالذباب والحشرات التى تحتـاج فى تشريحها إلى المجهر . وهكذا ظلت هولندا محرومة من كبار الفنانين حتى منتصف القرن التاسع عشر إذ ظهر چوهانز بزبوم ١٨١٧ – ١٨٩١ ليمهد السبيل لنهضة جديدة ، فصور صوراً مائيـة وزيتية كان موضوعها الكنائس والكتدرائيات من الداخل .

# ولم رويلفز

١٨٢٢ — ١٨٩٧

WILLEM ROELOFS

---

وجاء ولم رويلفز فشد أزر بزبوم فى رفع شأن التصوير . ولد فى أمستردام سنة ١٨٢٢ ، وسافر إلى فرنسا حيث تعرف بكورو وغيره من فنانى مدرسة باربيزون ؛ وأقام معهم مدة طويلة ، فرسم غابة فونتنبلو وهو فى صحبتهم . ثم عاد إلى بلاده ونشر تعاليمهم وطرقهم فى تصوير المناظر الطبيعية وقد كان له فضل كبير على التصوير الهولندى على الرغم من إقامته الطويلة فى بروكسل .

وقد كون لنفسه أسلوبه الخاص فى التصوير دون أن يتأثر بفن كورو وغيره من المصورين الفرنسيين الذين درس عليهم .

وكان رويلفز صاحب الفضل فى الإشادة بذكر المصورين الفرنسيين فى بلاده . وكانت له يد طولى فى إنشاء « الجمعية الحرة للفنون الجميلة » التى تأسست فى بروكسل سنة ١٨٦٨ وكان من أعضاء الشرف فيها كل من كورو وميليه . وبعد أن عاش رويلفز فى بروكسل أربعين عاماً رحل إلى ألهاى حيث توفى فى سنة ١٨٩٧ .

---

# چوزيف إسرائيلز

١٨٢٤ – ١٩١١

JOSEF ISRAELS

---

يجدر بنا ألا ننسى فضل فرنسا على الفن الهولندى الحديث ، ولا أن ننسى أيضا أن فن رمبرانت كان كنزاً لهولندا لا يفنى ولو انه ظل منسياً قرابة قرنين عاد بعدهما للظهور . وكان أول مصور هولندى انتقل بفن هولندا إلى قوته المماثلة لفن رمبرانت ، هو چوزيف إسرائيلز الذى دمج بين فن رمبرانت وفن ميليه وأضاف إليهما تجاربه الشخصية .

ولد إسرائيلز فى مدينة جرونتجن من والدين إسرائيليين . وكان أبوه مرابياً رغب فى أول الأمر أن ينشأ ابنه دكتورا فى الحقوق مع تبحره فى دراسة اللغة العبرية . ولكن أمنيته لم تتحقق لميل الابن بالفطرة نحو التصوير . ولم تظهر ملكة إسرائيلز فى الرسم إلا بعد أن ناهز العشرين . فكان ينتهز فرصة خلوه من عمله مع أبيه ، فيدرس الرسم على بعض الأساتذة ، فاضطر أبوه أن يرسله إلى أمستردام للدرس الفنى الصحيح حيث أقام هناك مع أسرة إسرائيلية فى حى غيتو.

وكانت موضوعات لوحاته شئون الحى اليهودى الذى عاش فيه على نسق الصور الدينية التى صورها رمبرانت لذلك الحى نفسه ؛ وفى سنة ١٨٤٥ غادر إسرائيلز مدينة أمستردام إلى باريس حيث اتصل بفنانيها وأخذ عنهم ميلهم إلى التصوير التاريخى على الطريقة القديمة ؛ ولما عاد إلى أمستردام سنة ١٨٤٨ كان قد تأثر بفن ديلاروش المصور التاريخى المشهور وشرع فى تصوير حوادث التاريخ : على أنه لم يخرج

قط عن طريقة رمبرانت. وفى سنة ١٨٥٥ عرض فى صالون باريس الصورة التاريخية المشهورة باسم « أمير البرتغال يعارض لأول مرة أوامر ملك الاسبان » . وفى سنة ١٨٥٧ عرض صورة « أطفال على ساحل البحر » وصورة « الساحل فى الليل » .

ثم أصابه مرض شديد فى سنة ١٨٦٦ فغادر أمستردام إلى زانتفورت ، وهى قرية صيد مجاورة لمدينة هارلم للاستشفاء فيها . وعاش فى وسط فقير رأى فيه من حياة الفقراء والبائسين ما يصح أن يصور : وها هى ذى صورته الشهيرة المعروضة فى مدينة لاهاى باسم « وحيدة فى الدنيا » شكل (٩٠) ترجمة لشعوره العميق بمآسى الحياة اليومية ، وقد صور فيها زوجة فقدت زوجها فتندب حظها وتبكى مصابها وبجانبها الإنجيل مفتوحاً ليبعث الطمأنينة إلى قلبها ، وقد تجلى فى هذه الصورة فن رمبرانت واضحاً فى طريقة التصوير ، وفى إخراج أشعة الضوء الضعيف المنبعث فى الحجرة ليخلق جواً مناسباً للموضوع ، وقد خيم على فراغ الحجرة ضباب خفيف يبعث فى النفس الشجن .

ويجدر بنا أن نقرر أن تصوير إسرائيلز كان نتيجة لتجاربه الخاصة على الرغم من تعلمه فى باريس . وكان يصور بالألوان المائية والزيتية وكذلك بالحفر .

وفى سنة ١٨٧٠ سافر إسرائيلز إلى لاهاى حيث أقام معززاً مكرماً إلى أن وافاه القدر فى سنة ١٩١١ وهو فى أوج شهرته .

---

# هندريك ويلم مسداج

## ۱۸۳۱ — ۱۹۱٥

## MESDAG

---

كان صديقاً لإسرائيلز وهو صغير . ولد سنة ۱۸۳۱ وظل أعواماً طويلة يشتغل فى التصوير كهاو . وكان يعمل مع أبيه فى مصرفه الخاص ولم ينصرف إلى التصوير إلا عند ما ضمن لنفسه ثروة من أعمال المصرف ، وبذلك كان مطمئنا إلى مستقبله يصور ما يطيب له دون أن يراعى لذوق المشترين حسابا ، كما كان يعين زملاءه المصورين من ماله الخاص . ولما بلغ الخامسة والثلاثين سافر إلى بروكسل حيث كان يقيم كل من الفنانين الشهيرين رويلفز والما تاديما ، صديقه وقريبه الذى أشرف على إعداده لتحصيل الفن الذى كان يريده . وأقام هناك ثلاث سنين ، ثم عاد فى سنة ۱۸٦۹ إلى لاهاى فناناً قديراً بعد أن كان من رجال المال . وقد خصص نفسه لتصوير البحار .

وكان مسداج مولعاً بجمع الصور الحديثة من أعمال مدرسة باربيزون ومدرسة هولندا الحديثة . وقد وهب مجموعة كبيرة منها لأمته سنة ۱۹۰۳ ، وهى معروضة الآن فى متحف مسداج الذى أقيم لتخليد ذكراه فى مدينة ألهاى .

---

# أنتون موف

١٨٣٨ — ١٨٨٨

**MAUVE**

---

ولد فى ناندام ، وكان أبوه قسيسا ، رباه تربية بروستانتية صميمة ، لا تشجع على تعلم الفنون ولكنه درس التصوير رغم والديه . وكان أسلوبه عاديا فى أول الأمر ، ولكنه لما تعرف إلى إسرائيلز وويلم وغيرهما من مصورى أمستردام ، غيّر من طريقته . ولما بلغ الثلاثين بدأ عرض صوره فى بروكسل ، وكان يقلد فنون « كورو » و « دو » الفرنسيين . وكان قد رأى تصويرهما فى منزل مسداج وفى غيره . ثم بدأ يظهر براعته فى تصوير المناظر الطبيعية . وله صور جيدة للحيوانات والأغنام . وكان يميل إلى رسم السواحل والبحار والصيادين وأسرهم .

---

## برنارداس جوهانز بلومرز

١٨٤٥ – ١٩١٤

BLOMMERS

من مواليد ألهاى وكان يسير على نمط إسرائيلز ، ولكنه كان يميل إلى رسم الأطفال وهم يلعبون على ساحل البحر ، وكان أسلوبه أقرب ما يكون من فن إسرائيلز .

## إخوة مارز

مارز – هم ثلاثة إخوة ضربوا فى التصوير بسهم وافر . وكان أبوهم طباعا ، وقد ولدوا جميعا فى مدينة لاهاى . وكان جدهم جنديا بوهيميا .

يعقوب أو ( چيمس ) مارز ١٨٣٧ – ١٨٩٩

JACOB (OR JAMES) MARIS

ماتش أو ( ماتثنيو ) مارز ١٨١٧ – ١٨٣٩

MATTHYS (OR MATTHENEW) MARIS

ويلم مارز ١٨٤٤ – ؟ WILLEM MARIS

وقد أظهر الثلاثة فى صباهم استعدادا للرسم فلم يحل والدهم دون رغبتهم ، وكان چيمس وماتثنيو متحدين فى صباهما . وفى سنة ١٨٥٥ وصلت شهرة الثانى إلى الملكة صوفى ملكة هولندا فخصصت له إعانة مالية

صرفها والدهما على تعليم الاثنين فى أكاديمية أنفرس . وكان الاثنان يعيشان فى منزل واحد مع الما تاديما ، الذى عرّفهما بالمواطن مسداج المصــور والمالى الشهير ، كما عرّفهما بالمصــور إسرائيلز وغيرهما من المصورين الهولنديين . واستمرا يدرسان بصبر وجلد على مصور يدعى هوف كان طيب القلب فأخلص لهما فى تعليمهما .

ولما بلغ چيمس الثلاثين من عمره كان قد تقدم فى فنه تقدما ملحوظا ، ثم سافر فى سنة ١٨٦٥ إلى باريس ، وأقام فيها ست سنوات يواصل الدرس ، واختص بتصوير المناظر الطبيعية وارتفع بفنه عن مستوى مدرسة باربيزون .

ومن صوره المعروفة « دوردرشت » شكل ( ٩١ ) وهى تمثــل منظرا ليليا ، ويؤخذ عليها أنه توسع فى تصوير النور والظل فى مساحات واسعة بما لا يتفق مع ظلام الليل الذى قصد أن يصوره .

وكان فن ويلم يحاكى فن رويلفز . وكان يهوى المناظر الطبيعية ذات الماشية والمراعى . وهو يختلف عن أخويه وباقى المصورين الهولنديين فى طبيعة معيشتهم وأساليبها وفى فنه . وكان أوسع منهم خيالا .

وكان ماتثيو فى مستهل حياته ملازما أخاه چيمس . وفى سنة ١٨٥٨ عاد الاثنان من أكاديمية أنفرس إلى لاهاى ، وبعد ثلاث سنين كانا قد اكتسبا بعض المال من النقل عن بعض الصور ، فسافرا فى رحلة إلى الغابة السوداء فى ألمانيا وإلى سويسرا ، عائدين عن طريق فرنسا إلى ديجون . وقد تأثر فن ماتثيو بما رآه من صور القلاع والمبانى فى أواسط فرنسا التى أدخلها فى بعض صوره كما فى لوحة « إطعام الدجاج » شكل ( ٩٢ ) التى صورها سنة ١٨٧٢ وطريقته فيها إجمالية لا بيان فيها للتفاصيل .

ولما قامت الحرب الروسية عاد چيمس إلى هولندا وظل ماتثيو حتى

رأى حصار باريس ، وانضم إلى جيش الحراسة فعانى كثيرا ؛ ولما فك الحصار سافر إلى لندن سنة ١٨٧٢ ، ولم يغادرها حتى مات سنة ١٩١٧ ؛ ورسم هناك عدة لوحات منها الصورة السابق ذكرها ، و « طفل راقد » شكل ( ٩٣ ) وهى دراسة وافية للطفولة . وكانت لوحاته التى رسمها فى آخر حياته غامضة ؛ ولم يكن يبغى من التصوير بيع لوحاته بل كان يفضل حفظها لنفسه مضحيا بالمال ؛ وفى سنة ١٩١١ منحه أحد مواطنيه الهولنديين معاشا صغيرا ظل يتقاضاه حتى آخر حياته ؛

---

# بيان بالصور

تابع بيان بالصور

| رقم الصورة | اسم المصور | اسم الصورة | اسم المتحف | رقم الصحيفة |
|---|---|---|---|---|
| ٢٠ | روبنز | تحكيم باريز | المتحف الأهلى بلندن | ٣٤ |
| ٢١ | » | قوس قزح | متحف والاس بلندن | ٣٦ |
| ٢٢ | » | القبعة الخوص | المتحف الأهلى بلندن | ٣٦ |
| ٢٣ | » | آن النمساوية | متحف اللوفر بباريس | ٣٦ |
| ٢٤ | » | هيلين فورمنت وطفلاها | » » » | ٣٦ |
| ٢٥ | جوردينز | الملك يشرب | » » » | ٣٨ |
| ٢٦ | » | الانجيليون الأربعة | » » » | ٣٩ |
| ٢٧ | » | ثروة الخريف | متحف والاس بلندن | ٣٩ |
| ٢٨ | ڤان داك | المركيزة كاتانيو | المتحف الأهلى بلندن | ٤١ |
| ٢٩ | » | الفنان راع | متحف والاس بلندن | ٤١ |
| ٣٠ | » | اللوردانچون وبرنارد ستيورت | من مجموعة خاصة | ٤٢ |
| ٣١ | » | صورته لنفسه | المتحف الأهلى بلندن | ٤٣ |
| ٣٢ | » | شارل الأول | متحف اللوفر بباريس | ٤٤ |
| ٣٣ | » | فيليب لى روى | متحف والاس بلندن | ٤٤ |
| ٣٤ | » | صورة زوجته | » » » | ٤٤ |
| ٣٥ | » | ڤان در جيست | المتحف الأهلى بلندن | ٤٤ |
| ٣٦ | » | أنجال بالبي | من مجموعة خاصة | ٤٤ |
| ٣٧ | فرانز هالز | البوهيمية | متحف اللوفر بباريس | ٤٨ |
| ٣٨ | » | مربية وطفل | متحف برلين | ٤٨ |
| ٣٩ | » | ضاربو السهام | متحف هارلم | ٥٠ |
| ٤٠ | » | » » | » » | ٥٠ |
| ٤١ | » | الفارس الضاحك | متحف والاس بلندن | ٥٠ |
| ٤٢ | » | أسرة ڤان بيريستين | متحف اللوفر | ٥١ |

تابع بيان بالصور

| رقم الصورة | اسم المصور | اسم الصورة | اسم المتحف | رقم الصحيفة |
|---|---|---|---|---|
| ٤٣ | رمبرانت | المصور وزوجته | متحف درسدن | ٥٤ |
| ٤٤ | » | الكابتن بانتج كوك وحرسه | متحف امستردام | ٥٤ |
| ٤٥ | » | الشجرات الثلاث | » » | ٥٦ |
| ٤٦ | » | قنطرة سكس | » » | ٥٦ |
| ٤٧ | » | توبت الضرير | » » | ٥٧ |
| ٤٨ | » | هندريكه ستوفلز | » برلين | ٥٧ |
| ٤٩ | » | تيتس | متحف والاس بلندن | ٥٨ |
| ٥٠ | » | فرنسوا واسرهوفن | المتحف الأهلى بلندن | ٥٨ |
| ٥١ | » | رمبرانت فى شيخوخته | متحف اللوفر بباريس | ٥٩ |
| ٥٢ | » | اليهودية الصغيرة | متحف مدينه بتروجراد | ٥٩ |
| ٥٣ | » | طاحونة لانسداون | من مجموعة خاصة | ٥٩ |
| ٥٤ | » | المسيح يحيط به المرضى وهو يستقبل الأطفال | من مجموعة خاصة | ٥٩ |
| ٥٥ | » | Bethsalbee | متحف اللوفر بباريس | ٥٩ |
| ٥٦ | أدريان بروير | الفلاح النائم | متحف والاس بلندن | ٦٢ |
| ٥٧ | چيرار دو | بائعة الدجاج | المتحف الأهلى بلندن | ٦٣ |
| ٥٨ | » | بائعة الرنجة | من مجموعة هرميتاج | ٦٣ |
| ٥٩ | » | ناسك | متحف والاس بلندن | ٦٣ |
| ٦٠ | » | المريضة بالاستسقاء | متحف اللوفر بباريس | ٦٣ |
| ٦١ | تربورش | العازفة | » برلين | ٦٤ |
| ٦٢ | » | سيدة تقرأ خطاباً | متحف والاس بلندن | ٦٥ |
| ٦٣ | » | الجندى العاشق | » » » | ٦٥ |
| ٦٤ | » | درس فى العزف | » هارلم | ٦٥ |
| ٦٥ | چان ستين | وليمة التعميد | » اللوفر بباريس | ٦٧ |

# تابع بيان بالصور

| رقم الصورة | اسم المصور | اسم الصورة | اسم المتحف | رقم الصحيفة |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| ٨٩ | ڤان دى ڤيلد | نـــوء | المتحف الأهلى بلندن | ٨٣ |
| ٩٠ | إسرائيلز | وحيد فى الدنيا | متحف لاهاى | ٨٧ |
| ٩١ | چيمس مارز | ذوردرشت | » » | ٩١ |
| ٩٢ | » » | إطعام الدجاج | » » | ٩١ |
| ٩٣ | » » | طفل راقد | » » | ٩٢ |

# المراجـــع


The National Gallery, by Sir Charles Holmes.

The Important Pictures, by M. L. Warner.

Stories of the Artists, by Florence Haywood.

Apollo, by S. Reinach.

The Outline of Art, by Sir William Orpen.

Art Through the Ages, Helen Gardner.

The Outline of History, by S. C. Kaines Smith.

# فهرس الكتاب

صحيفة

صحيفة



المدرسة الهولندية الحديثة :

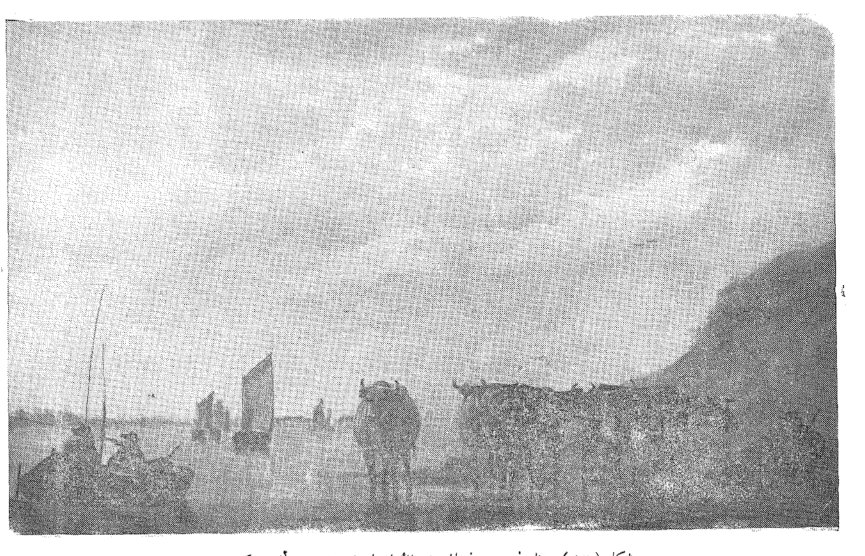


---

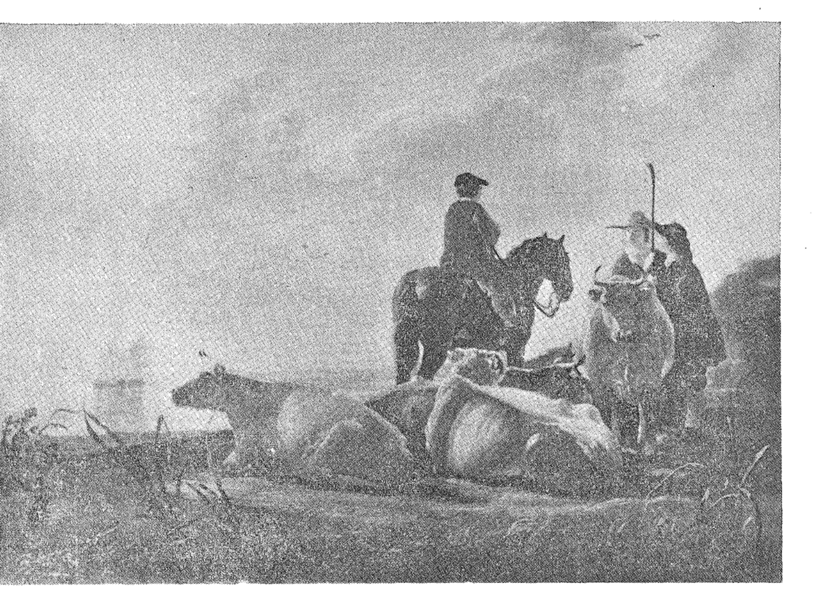

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٥٥٩/١٩٧١


---


م ، الدجوى
القاهرة ـ عابدين



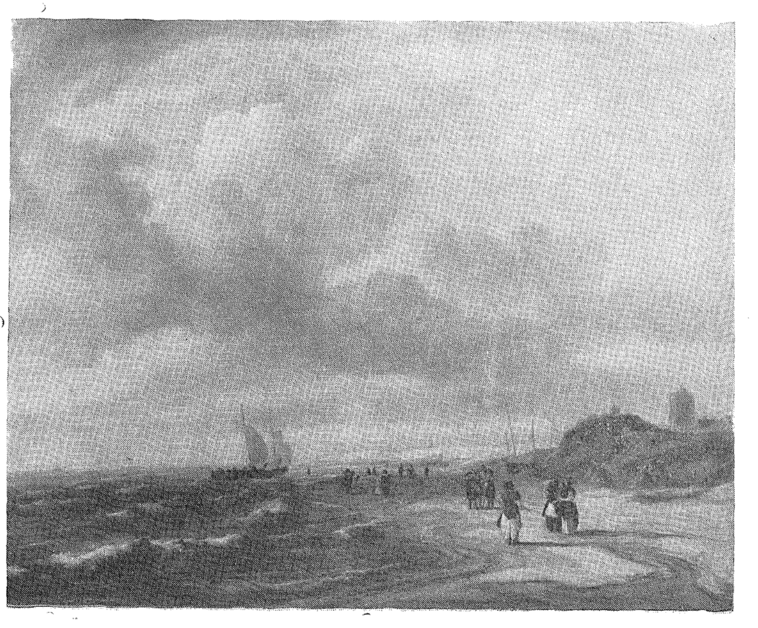
شكل ( ٨٢ ) منظر نهرى — فى المتحف الأهلى بلندن — تصوير ألبرت كويب



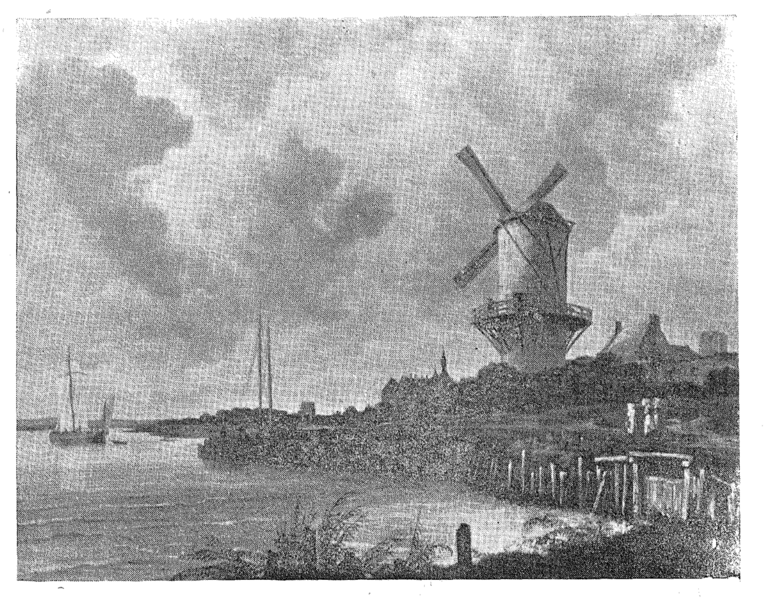
شكل (٨٣) – البقر والأسخاص – فى المتحف الأهلى بلندن – تصوير ألبرت كويب



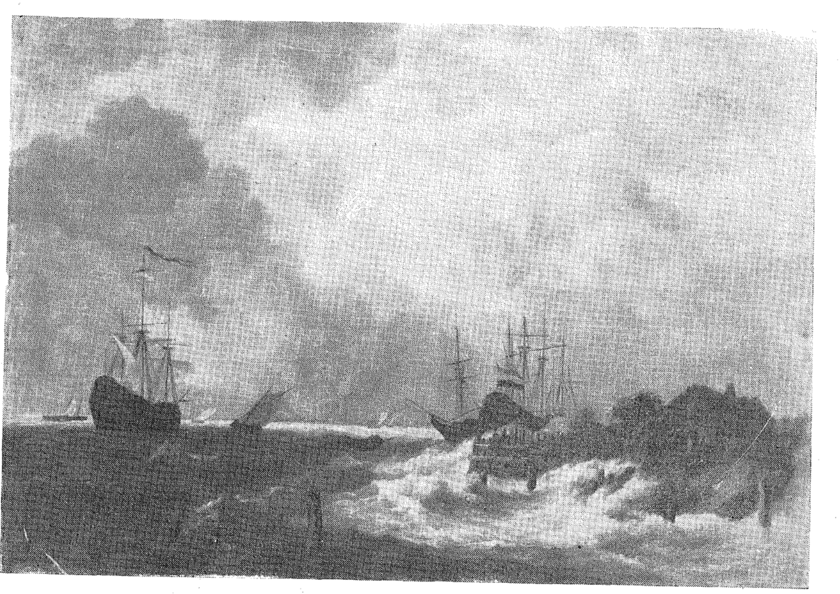
شكل ( ٨٤ ) – الطريق – فى متحف والاس بلندن – تصوير ألبرت كويپ



شكل ( ٨٥ ) ــ ساحل شيفيننجن ــ فى المتحف الأهلى بلندن ــ تصوير رويسدال



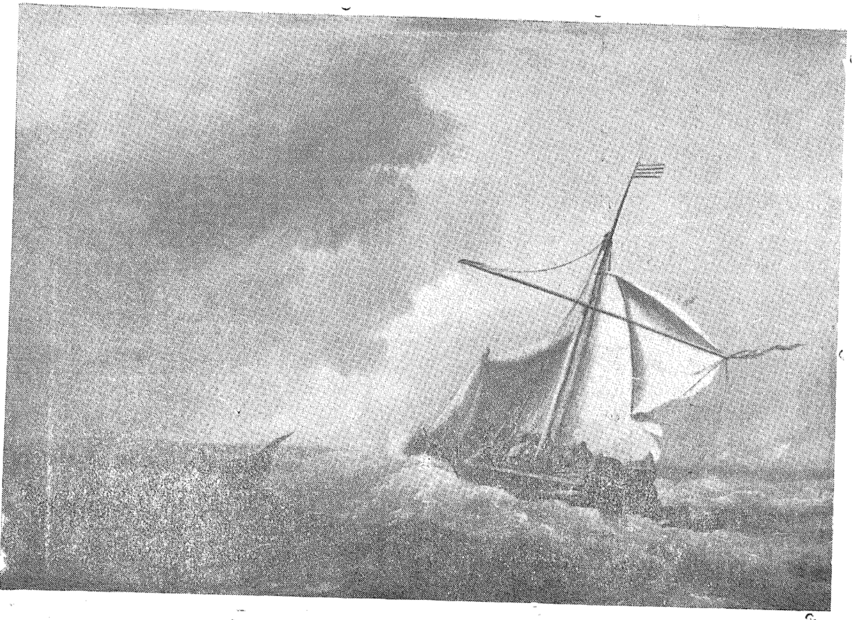
شكل ( ٨٦ ) ـ الطاحونة — فى متحف امستردام — تصوير رويسدال



شكل (٨٧) – العاصفة – فى متحف اللوفر بباريس تصوير رويسدال



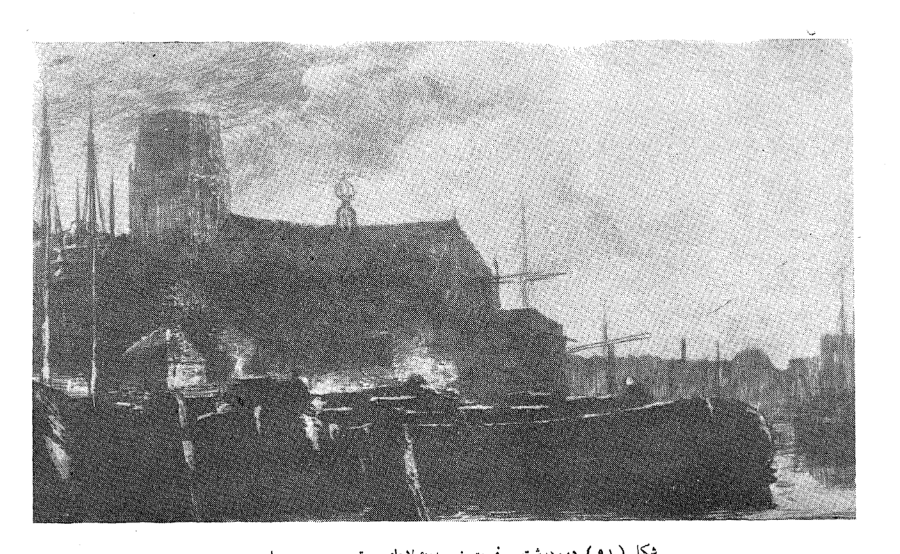
شكل (٨٨) – الطريق – فى المتحف الأهلى بلندن – تصوير هوبيما



شكل ( ٨٩ ) — نوء — فى المتحف الأهلى بلندن — تصوير ڤان دى ڤيلد



شكل ( ٩٠ ) وحيدة فى الدنيا — فى متحف مدينة لاهاى — تصوير إسرائيل



شكل (٩١) دوردرشت – في متحف مدينة لاهاي – تصوير چيمس مارس



شكل ( ٩٢ ) ـ إطعام الدجاج ـ في متحف مدينة فيلادلفيا ـ تصوير ماتشو مارس



شكل ( ٩٣ ) — طفلة راقدة — فى متحف مدينة لاهاى — تصوير ماتثوماريس

# كتاب رجال التصوير

---

الكتاب الأول — الفن الإيطالى ( صدر ونفد ) .

« الثانى — الفن الفلمنكى

« الثالث — الفن الألمانى

« الرابع — الفن الاسبانى

« الخامس — الفن الفرنسى

« السادس — الفن الانجليزى

(الثالث إلى السادس) تحت الطبع